

تأليف

الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن

تحقيق وتعليق

الأستاذ محمد العفاف بن عثمان الهرري الأروي

نشر وتوزيع



الطبعة الأولى

١٤١٠ - ١٩٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أوضح الحق بدليله.

ونور بصيرة من أراد سبيله وبعد/ -

فإن رسالة البراهين الإسلامية في رد الشبة الفارسية بقلم مشعل الهداية ورائد التدليل لا قوم سبيل العلامة الشيخ/ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ / قد أعرب مؤلفها بفصيح اللسان وساطع التبيان أن العبودية لله وحدة حباً وتعظيماً وذلاً وانكساراً وأن الوثنية المحبوكة باسم حب الأولياء وقداسة الصالحين ما هي إلا نافذة على ما كان عليه أبو جهل وأضرابه الذين قال الله عنهم إنهم قالوا / ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾.

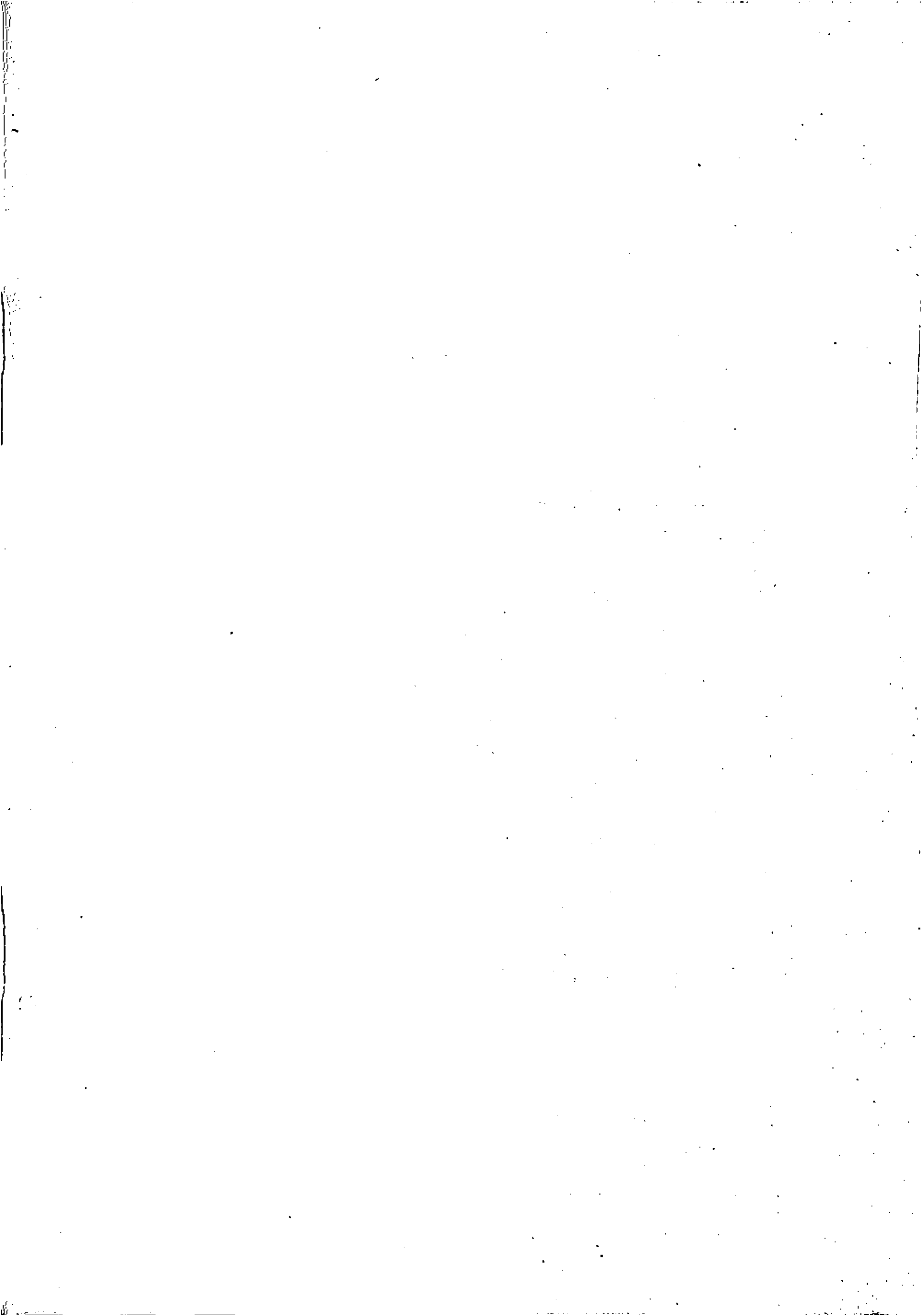
والشيخ عبد اللطيف في ردوده بقرن الدليل بالتعليل والأسلوب الدعوى بالمنطق الجدلي وزيادة في التحقيق قام أخونا الفاضل الشيخ/ محمد عارف بن عثمان الهرري الأرومي بنسخ الرسالة من أصلها وتخريج الآيات والأحاديث والآثار الواردة فيها مع إضافة ما استحسنه مما هو شاهد للباب.

وقد أعنته على ذلك بالدعاء وبذل الوسع في إخراج الرسالة ضمن ما تنشره مكتبة دار الهداية وغايتنا في ذلك نيل المراد بعفو رب العباد والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون وحسبنا الله وكفى نعم المولى ونعم النصير.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

كتبه إسماعيل بن سعد بن عتيق

١٤٠٩/٥/١٥



بسم ا الرحمن الرحيم

مقدمة الرسالة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونتوب إليه ونستغفره ونتوكل عليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن ترسّم خطاهم إلى يوم الدين وبعد.

فإن هذه الرسالة القيمة النافعة التي ألفها العالم الجليل الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد قطعت أصول الشرك واجتثت جذوره حيث كاد الباطل يجول ويصول ليغرس شجرة خبيثة ترسخ عروقها في قعر الأرض وتمتد فروعها في السماء لتثمر ثمار مسمومة هالكة، ولكن الله سبحانه وتعالى كفى عباده المؤمنين شرورها وأضرارها حيث وفّق هذا العالم النحرير بقلعها وقوّى عزمه وشد أزره ليستأصلها من جذورها إنجازاً لوعده بقوله: **﴿ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة أجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾** وذلك أن رجلاً ينسب إلى فارس ـ كما ذكره المؤلف ـ أراد أن يهدم الأسس المتينة التي أحكمها الباري وأتقن بناءها وأرسى قواعدها في أغوار أراضي الفطرة وأعماق قلوب البرية بالحب والذل له والطاعة في السر والعلانية، وأنزل الكتب وأرسل

الرسل لهذا الغرض العظيم وهو تجريد العبادة لله وإخلاص الدين له والتبري عن عبادة غيره وتخصيص المعبود الواحد خالق الخلق رب العالمين بالدعاء والطلب والقصد والرجاء والرغبة والرهبة والمحبة والتوكل في نيل المرغوب وحصول المطلوب ودفع المرهوب وإنقاذ الملهوف المكروب دون غيره من الآلهة الباطلة التي يعبدها المشركون من دونه.

وأجاز هذا الضال المضل أن يصرف جميع ذلك لغيره تعالى في جلب الخير وسلب الضير، ولذلك لا يشك المؤمن الذي أنار الله بصيرته أن ما قام به هذا الشخص المذكور معول هدام استعمله لهدم هذا الركن الوثيق لولا عنايته لدينه الحنيف وحفظه له من أن يناله التبديل والتحريف والتغيير تصديقاً لوعده حيث قال: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ إنكاره لما دعا إليه القرآن والسنة المطهرة الثابتة عن النبي ﷺ وسلف هذه الأمة وأجمعت عليه الأئمة الأعلام ومصادم للعقل الصريح والنقل الصحيح إذ عدل المخلوق بالخالق الرازق وسوى العاجز الفاتر بالقادر القاهر سبحانه وتعالى عما يشركون فكفر بذلك برب العالمين، قال تعالى منزهاً نفسه المقدسة عن النقائص ومثنياً عليها بصفات الجلال والجمال ونعوت المدح والكمال: ﴿**الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون**﴾.

وقال تعالى حاكياً عن شجار وخصام أهل النار فيها حيث يتبرأ العابدون عن المعبودين الذين عبدوهم في الدنيا من دون الله: ﴿**وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود إبليس أجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين وما أضلنا إلا المجرمون**﴾ سورة الشعراء، آية ٩٢ ـ ٩٩.

وقد تجرأ هذا الجاحد المعاند على ترويج الزيغ والزيف والضلال وغار في عمق الإلحاد وبالغ في ترويج الخرافات والشرك والعناد حيث حاول أن

يمنح العباد ما هو خالص لرب العباد وقرر أن غيره تعالى يعلم الغيب ويتصرف في الكون وينجد الملهوف وينقذ المكروب من الكرب الذي نزل به، وبذلك صرف لغيره تعالى حقه الخاص به، وساق أدلة من الكتاب والسنة على ذلك التي تدل على فراغ جعبته من فهم الشريعة وعلى جهله المركب حيث ظن أن هذه الأدلة التي استدل بها حجة له لا عليه ولم يدر هذا المسكين أنها شاهدة على بعده عن الحق والصواب وعمقه في الغي والضلال حيث يعتبر هذا التبجح منه جحوداً لما نطق به القرآن وقام عليه البرهان من تفرده تعالى بعلم الغيب قال تعالى: **﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون﴾** سورة النمل، آية ٦٥. ونحو هذه الآية الكريمة كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تخص الباري بعلمه الغيب وتنفي ذلك عن غيره نفياً قاطعاً إلا ما يعلمه أنبياءه بطريق الوحي مما استثناه الخالق من هذا العلم الخاص به مثل قوله تعالى: **﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾** وقوله: **﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبة أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾** الآية.

ولا شك أن هذا الكلام الذي كتبه هذا الشخص حول هذه الشبهة التي غرق فيها يدل على مرض قلبه إذ علامة مرض القلب عدوله عن الأغذية النافعة الموافقة إلى الأغذية الضارة، وعدوله عن دوائه النافع إلى دوائه الضار.

فهنا أربعة أشياء:

غذاء نافع، ودواء شاف، وغذاء ضار، ودواء مهلك.

والقلب الصحيح يؤثر النافع الشافي على الضار المؤذي، والقلب المريض بضد ذلك، وأنفع الأغذية غذاء الإيمان، وأنفع الأدوية دواء القرآن، وكل منهما فيه الغذاء والدواء، فمن طلب الشفاء في غير الكتاب والسنة فهو من أجهل الجاهلين وأضل الضالين، قال تعالى: **﴿وننزل من القرآن ما هو**

شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾.

فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية وأدواء الدنيا والآخرة وما كل أحد يؤهل للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به ووضعه على دائه بصدق وإيمان وقبول تام واعتقاد جازم واستيفاء شروطه لم يقاومه الداء أبداً وكيف تقاوم الأدواء كلام رب العالمين الذي لو نزل على الجبال لصدعها أو على الأرض لقطعها؟

فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا في القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه والحمية منه لمن رزقه الله فهما في كتابه.

ولكن هذا المردود عليه لم يهتد بهديه ولم يستضيء بنوره بل أراد أن يحمّله ما لم يحتمله وضل سواء السبيل حيث ادّعي أن غيره تعالى يعلم الغيب مما نفاه القرآن عمن سواه وزعم أن دليل ذلك من القرآن والحديث ولا شك أن ما ذكره حجة عليه لا له.

وانطبق عليه المثل (حفرت الشاة بظلفها السكين بحثها حتفها) وهو مثل يضرب لمن يؤديه اجتهاده في الأمر إلى هلاك نفسه والقضاء عليها من حيث لا يشعر ذلك وهذا جزاء من كابر صريح العقل وصحيح النقل وعادى الحق ووالى الباطل ونصر البدعة وحارب السنة حتى أدّى به الأمر إلى دعواه علم الغيب لغيره جل وعلا وجحد بذلك ما هو معلوم من دين الإسلام بالضرورة **﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنّي تصرفون﴾.**

٣ ـ وزعم أيضاً أن الأولياء والصالحين لهم تصرفات في الكون في الحياة وبعد الممات ينفعون ويضرون ويعطون ويمنعون ويقصدون من دون الله في جلب الخير ودفع الضير وقضاء الحاجات وكشف الملمات ويسمعون نداء المنادي بهم ويجيبون صيحتهم وقد أبعد بذلك في الضلال وأعمق في بحور الشرك وجاوز الحد وجعل لله الشريك والند في تصريف الأحوال وتدبير الأمور وإعطاء المطالب وكشف المثالب مما هو حق خالص لله، وقد أشرك

عباده معه في تصريف الكون وجحد بذلك توحيد الربوبية الذي أقره المشركون والكفار والخليقة جمعاء والذي لم يحصل النزاع فيه بين جميع الطوائف قط، ولا شك أن ذلك يعتبر جحوداً للصانع المدبر الحكيم الخالق الرازق المحيي المميت رب العالمين الذي لم يجحد به العقلاء حتى الفلاسفة إلا طائفة شذت ونهجت نهجه وإلا فرعون الطاغية الذي ادعى الربوبية فيما حكى عنه القرآن حيث قال: **﴿أنا ربكم الأعلى﴾** وادعى كذلك الألوهية حيث تبجح وقال: **﴿ما علمت لكم من إله غيري الآية﴾** وقال أيضاً: **﴿لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين﴾** ولكن الله انتقم منه وعاقبه على هذا الادعاء حيث أخبر ذلك بقوله: **﴿فأخذه الله نكال الآخرة والأولى إن في ذلك لعبرة لمن يخشى﴾ ﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم في أليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾، ﴿فانتقمنا منهم فأغرقناهم في أليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾**.

وهكذا كل من سلك هذا المسلك الإلحادي الذي سلكه فرعون ومن كان على شاكلته سيلقى جزاءه ويذوق وبال أمره إن عاجلاً أو آجلاً وله عذاب أليم في الدنيا والآخرة.

وقد بيّن الله سبحانه وتعالى إقرار الجميع بهذا النوع من التوحيد حيث أنزل الآيات التي قررت ذلك بوضوح لا يخالطه أي لبس قال تعالى: **﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحيّ من الميت ويخرج الميت من الحيّ ومن يدبر الأمر فيسقولون الله فقل أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنّي تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون﴾**.

ومن هنا نعرف تماماً أن الذين عبدوا غير الله من المشركين الأولين لم يعبدوهم إلا ليكون هؤلاء المعبوديون وسطاء بينهم وبين الله في رفع طلبهم إلى الله كما حكى الله عنهم ذلك بقوله: **﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن**

الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾.

ولم يوجد من بينهم من صرف خالص الحب والذل والخضوع والعبادة والطلب والقصد والخوف والرجاء لغيره ولم يشركوا مع الله أحداً في الربوبية والخالقية والرازقية بل كان شركهم في العبادة والقصد والطلب والخوف والرجاء حتى أنهم لم يخلصوا ذلك لآلهتهم بل أشركوا الله معهم في ذلك كما قال تعالى: **﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله﴾** الآية.

ولقد كرر الحق سبحانه وتعالى ذكر توحيد الربوبية في مواضع كثيرة من كتابه إقامة للبراهين الساطعة والدلائل الواضحة والحجج المقنعة على وحدانيته ووجوب عبادته وطاعته وحبه والذل والخضوع له ووجوب الكفر بما يعبد من دون الله والبراءة عما سواه.

ومعنى هذا الكلام: أنتم أيها العقلاء من الإنس والجن إذا اعترفتم وأقررتم أن الله هو الخالق الرزّاق المدبر المحيي المميت والمعطي المانع يعطي ويمنع ويعز ويذل ويقدر على كل شيء ويعلم كل شيء لا يعزب عن علمه مثقال حبة من خردل، إذا اعترفتم أن جميع ما في الكون علويّه وسفليّه ملكه وخلقه يدير كيف يشاء لا معقّب لحكمه فهذا الإقرار والاعتراف يوجب عليكم أن تخصوه بالعبادة والحب والذل والخوف والرجاء والرغبة والرهبة فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً تسعدوا في الدنيا والآخرة فإن أبيتم تخصيصه بذلك فلا نجاة لكم في الدنيا والآخرة لأنكم معاندون ومكابرون وكاذبون فيما أقررتم به من توحيد الربوبية الذي يستلزم توحيد الألوهية لأن توحيد الربوبية دليل على توحيد الإلٰهيّة والعبادة والقصد ووسيلة له.

قال تعالى: **﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾**.

والمشار إليه باسم الإشارة في قوله تعالى: **﴿إنا كنا عن هذا غافلين﴾** هو توحيد الألوهية المدلول عليه بتوحيد الربوبية الذي هو الغاية له، والدليل على ذلك قوله ﷺ: «**يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتدياً به. قال فيقول نعم فيقول: قد أردت منك أهون من ذلك قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بي**» رواه البخاري ومسلم وأحمد.

فإذا صرف هذا الفارسيّ توحيد الربوبية الذي وحد الله به جميع الخلائق ولم يقع الخصام فيه فإذا صرف هذا للمشايخ والأولياء والصالحين فما باله في توحيد الألوهية الذي أبى أن يقره المشركون ورفضوه والذي أوجب الله الجهاد لتقريره وأرسل الرسل وأنزل الكتب له وهو أشد عناداً وجحوداً في هذا النوع من التوحيد حيث أنه صرح أن الأولياء والمشايخ والصالحين يقصدون لقضاء الحاجات وكشف البليات سبحان الله ما أعظم هذا الشرك وأقبحه وما أجهل من اعتقد هذا الاعتقاد وأغفله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٤ ـ وكذلك رمي من أخلص الدعاء والتوجه والقصد والرجاء والخوف لله وحده لا شريك له وتبرأ عما سواه في جميع ذلك بالاعتزال جهلاً منه بأصول المعتزلة ومذاهبهم وعقائدهم وقد انقلب رأساً على عقب حيث لم يفرق بين الغث والسمين.

٥ ـ كما قرر أيضاً بجواز الاستمداد من أهل القبور وقطع بسماعهم في القبور من يناديهم في طلب قضاء الحوائج وإسعاف الفواجع وجزم كذلك أنهم يتصرفون ويدبّرون الكون في قبورهم وأن تدبيرهم وتصريفهم وإغاثتهم لقاصديهم أتم وأقوى من حال حياتهم، ومن هنا نعرف أن هذا المبتدع لم يترك شيئاً مما هو خالص حق الله إلا صرف لهؤلاء الأموات الذين هم في أمسّ الحاجة إلى الترحم والاستغفار لهم والدعاء لهم بالعفو والرحمة.

كما أرشد الله عباده المؤمنين إلى ذلك بقوله: **﴿والذين جاؤوا من**

بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم﴾، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

هذا موجز تلك الشبه التي أثارها هذا الجاحد المبتدع وأراد أن يغزو بها قلوب الغافلين ويروّجها بين البسطاء وبذل أقصى جهده في نصر الباطل وإبطال الحق وقد أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن ما عادى الله ورسوله فأولئك في الأذلين حيث قال: **﴿والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون﴾**.

فأني له ذلك وقد وعد الله سبحانه وتعالى أن ينصر دينه ويعلي كلمته ويخزي أهل الزيغ والفساد والشرك والإلحاد ويحق الحق ويبطل الباطل ولو كره الملحدون أمثاله والحمد لله رب العالمين قال تعالى: **﴿ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون﴾** سورة الأنفال، آية ٧ ـ ٨.

وقال جل وعلا أيضاً: **﴿ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون﴾** سورة يونس، آية ٨٢.

وقال تعالى: **﴿ بل تقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون﴾ ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾**.

هذا ولما وقف الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله على الأوراق التي كتب فيها هذا الشخص المذكور هذه الآراء الفاسدة والأفكار المسمومة والعقائد الزائفة بادر إلى نقضها وإبطالها وبيان زيفها ورفع الستار عنها بالدلائل المقنعة والحجج المدمرة التي تبدد تلك العقبات التي تعترض طريق الحق وتعوق السالك عن السير فيه وتعرقله، ولقد وفقه الله في نفض الغبار الذي ذره هذا الجاحد الملحد على صفحات عقائد السلف البيضاء

النقية النظيفة ليغطيها بهذه الشركيات والخرافات والجحود والإلحاد حيث وقف رحمه الله عند كل رأي باطل رآه وشبهة ذكرها وقفات طويلة ودقيقة وقف من ذلك موقف ناقد بصير ومدرك ونظر فيها نظرة عميقة ثاقبة وأرسل سهامه إلى تلك الوحوش الضارية وسدد إليها وأرداها قتلى وبدد تلك الحجج الواهية التي احتج بها من الكتاب والسنة على زعمه بالدلائل التي لا تدع مجالاً للشك ولا ريباً للمرتابين والشاكين وتزداد يقيناً وثباتاً لأهل الإيمان والبصيرة والمعرفة كما ستقف أيها القارىء إن شاء الله تعالى على تلك الردود الحسان التي تناولها الشيخ في نقض هذه الشبه الواهية وتفكيكها وتمزيقها إرباً إرباً كل رأى على حدة وكل شبهة بانفرادها بحيث لا رواج لها بعد ذلك أبداً ولا غرابة في ذلك أن الله سبحانه وتعالى جعل العلماء العاملين الذين يعلمون الناس الخير ويمنعونهم عن الشر مفاتيح الخير ومغاليق الشر ولله الحمد والمنة على ذلك.

هذا ولقد شرفني الله سبحانه وتعالى بهذه الخدمة البسيطة حيث جعلني أحظى بتحقيق هذه الرسالة النافعة وأسهم في قراءتها ونسخها والتعليق عليها بما منّ الله عليّ مع الاستفادة منها بما حوته من بيان مناهج السلف وعقائدهم ودحض آراء الملحدين والمارقين وأفكار المبطلين بالأساليب التي تقنع أهل الحق وتفحم أهل الباطل مما يزيد القارىء المتأمل والسامع المتدبر قوة في الإيمان وثباتاً في العقيدة ورسوخاً في الشريعة وبصيرة في الدين وتمريناً على مواجهة الشبهة الباطلة وجلداً في المناظرة التي يقارع بها المحق أهل الجدل والكلام، ومن هنا يتبين القارىء أنها فريدة في نوعها قل أن تجود القرائح بمثلها أسأل الله سبحانه وتعالى أن يسبل على مؤلفها وابل الرحمة والرضوان والعفو والغفران وأن يسكنه وجميع المسلمين فسيح الجنان يا حنّان يا منّان يا ذا الفضل والإحسان وأنت المستعان.

هذا وقد كان قيامي بهذا العمل المتواضع - تحقيق هذه الرسالة التي هي مفخرة لأهل التوحيد ومنار لطلاب الحق وروّاد الإيمان وحماة هذا الدين الحنيف وحملة الشريعة - تلبية لرغبة أخي في الله الشيخ اسماعيل بن سعد

بن عتيق في إحياء هذا التراث العظيم الذي خلفه جهابذة العلماء ونشر مذهب السلف في بقاع المعمورة التي ابتلى أكثر أهلها بأمثال هذا المردود عليه الذين يروّجون الخرافات والأباطيل ويحاربون عقائد أهل السنة والجماعة من إفراد الله بالعبادة والحب والذل والخوف والرجاء وإثبات ما أثبته لنفسه وأثبته له رسله من الأسماء والصفات ونفي ما نفي عنه نفسه المقدسة ونفي عنه رسله من النقائص ـ حيث طلب مني ذلك سائلاً العلي القدير التوفيق والسداد، تقديراً لحرصه الشديد ورغبته العميقة في هذا الخير العميم وتعاوناً على البر والتقوى وإدراكاً مني بحسن ظنه فيّ.

أسأل الله العلي العظيم أن يحقق رغبته ويتم نواياه الحسنة وينفذ عزمه بجعل هذه الجهود المتواضعة موفقة فيما يحبه الله ويرضاه وخالصة لوجهه الكريم، كما أسأله سبحانه ـ وهو ولي ذلك ـ أن يبارك فيه وفي عقبه كما بارك في أصوله حيث كانوا بيوت العلم والمعرفة والدين والعبادة والتواضع كما أرّخ لهم ذلك في تاريخ علماء نجد ويغفر لي ولوالدي ووالديه وجميع المسلمين وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجميعن.

بقلم

محمد العارف بن عثمان بن موسى الهرري الأورمي

مقدمة

هذا وقد رتّبت هذا العمل على خمسة فصول وخاتمة:

الفصل الأول : بيان منهج تحقيق الرسالة.

الفصل الثاني : ترجمة المؤلف.

الفصل الثالث : ذكر مؤلفاته.

الفصل الرابع : تلاميذه الذين تلقوا العلم عنه.

الفصل الخامس : شيوخه الذين ثقفوه بالثقافة العلمية واللغوية والدينية.

الخاتمة : في توصية يوصيها المحقق لأهل العلم من الحث على هذا التراث العظيم علماً وعملاً.



منهج التحقيق

تمهيد

يجدر بنا أن نذكر في هذا المقام الجهود المباركة الموفقة التي قام بها أسلافنا الأمجاد (علماء المسلمين) حيث غادروا هذه الفانية وقد خلّفوا وراءهم مواريث عظيمة فريدة عديمة النظير، بيد أنّ هذه المواريث الغالية - مع الأسف - لم تخلد كما هي بل طرأت عليها صروف الدهر من المحن التي أدت إلى تلف أعظم ثروة علمية نادرة أنتجها هؤلاء المخلصون وقدّموها للأجيال المتعاقبة لتكون لها نبراساً ودليلاً إلى كل خير ولكن الله شاء أن تتلف جل هذه الجهود الجبارة التي لا نظير لها حيث سلط أعداء المسلمين على بلادهم بسبب معاصيهم وأتلف هؤلاء الكفار أكثر المؤلفات العلمية القيمة بإحراقها وإغراقها وتمزيقها - مما يرثي له - وبعض هؤلاء الأعداء الذين أقدموا على هذه الجرائم البشعة نقل معه إلى بلاده ما تبقى من هذا العمل الإجرامي - المؤلفات القيمة النافعة من فنون متعددة دون أن يدركوا قيمة ما تحويه هذه الكتب التي نقلوها معهم، وغرضهم من ذلك أن يجعلوها مظاهر تاريخية يحتفظون بها في مكتباتهم كمتاحف للزوّار. وحتى هذه الكتب المنقولة إلى بلادهم بالنسبة لما بقي في المكتبات الإسلامية الذي لم يقع في أيدي هؤلاء المتلفين كثيرة جداً كما ذكر ذلك المؤرخون[1] الذين ألفوا في

---

(١) مثل ابن كثير في حوادث سنة ٥٤٥ في البداية والنهاية.

الكوارث التي أصيب بها المسلمون في تلك الحقبة مما يبكي كل من يحب الفضائل ويكره الرذائل، وقد بقيت هذه المؤلفات المنقولة من بلاد المسلمين إلى بلاد الكفار محتفظة في مكتباتهم مئات السنين ولا علم للمسلمين بشأنها إلا ما تحيل إليه الكتب الموجودة لديهم كمراجع، ولما أراد الله إبرازها لورثتهم الحقيقيين حفّز همم الكفار إلى دراسة اللغة العربية التي ألفت بها غنيمتهم هذه وكتبت بها تلك الكتب العظيمة دراسة عميقة بليغة فهموا من خلالها أسرار اللغة العربية ومراميها الدقيقة وطرق كتابتها وتأليفها وأضافوا إلى هذه الثقافة الجديدة ما عندهم من قواعد ومناهج متبعة في تحقيق المخطوطات ونشر التراث، ولما اطلعوا على هذه الكتب العربية الإسلامية التي زخرت بها مكتباتهم بعد هذا الفهم الدقيق تسابقوا إلى إحيائها ونشرها بعيدة عن التبديل والتغيير لأنهم طبقوا في نشر النصوص العربية القواعد التي تتبع في أوروبا لنشر النصوص الكلاسيكية - وهي قواعد دقيقة تضمن الأمانة في إخراج النص وتضمن أن يأتي النص المنشور كما وضع في أصله وهذا يمثل قول الشاعر:

وإذا أراد الله نشر فضله طويت ... أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار ما جاورت ... ما كان يعرف طيب عرف العود

هذا ورغم أن الهدف الأساسي من هذه الدراسة نيل الإسلام والمسلمين وطعن أقدس ما يملكونه من الكتاب والسنة وتشويه جمالهما الباهر بيد أنهم أنصفوا في هذا الجانب - في تحقيق المخطوطات ونشرها حيث ألزموا أنفسهم أن ينتهجوا تلك القواعد المتبعة في إحياء التراث عندهم سواء كان عربياً أم غيره - وهو إخراج النص المنشور سليماً كما وضع في أصله وإلا يعتبر عيباً فاحشاً في دنيا الثقافة لديهم ويتمثل فيهم بقول النبي ﷺ: «صدقك وهو كذوب».

هذا ولم يأل أيضاً الورثة الحقيقيون - علماء هذه الأمة - جهداً في الحفاظ على ما سلم من صروف الدهر وتحقيق ونشر ما تبقي في أيديهم

وتعويض مكتبات المسلمين التي أتلفتها الأيدي الآثمة الفاجرة بما جادت به قرائحهم من تأليف ما يقرب ذلك المتلف من العلوم النافعة إلا أنهم لم يضعوا قواعد متبعة توحد مسالكهم في تحقيق المخطوط ونشر التراث مثل هؤلاء المستشرقين مما دعا بعض علماء المسلمين إلى الاعتراف بفضلهم وتنويه شأنهم.

وممن نوّهوا شأنهم - في هذا الجانب - من العلماء المفكرين الذين ألفوا الكتب النافعة في قواعد تحقيق المخطوطات - الدكتور صلاح الدين المنجد حيث قال[1]:

اهتم العرب في ربع القرن الماضي بنشر تراثهم القديم وتحقيقه، وكان المستشرقون قد سبقوا إلى نشر هذا التراث منذ أكثر من مئة عام فنشروه متبعين نهجاً علمياً دقيقاً مع ضعف فريق منهم باللغة العربية أو اطلاع آخرين منهم عليها.

وشاء العرب أن يحذوا حذوهم في تحقيق النصوص، فنجح أناس أوتوا العلم والمنهج العلمي، وأخفق آخرون أعوزهم المنهج العلمي الذي ينبغي اتباعه في النشر وحاول هؤلاء ستر نقصهم هذا بالغض مما نشره المستشرقون واتخذوه هزؤا ثم زاد الاستخفاف بما نشر المستشرقون وبالمنهج الذي اتبعوه عن جهل بالمنهج العلمي وعصبية ضده ورأينا كل تأشر ينهج في نشره منهجاً ويزعم أنه ابتدع طريقة، ومن الانصاف أن نقرر أن المستشرقين كان لهم فضل السبق في نشر تراثنا العربي منذ القرن الماضي وأنهم أول من نبهنا إلى كتبنا ونوادر مخطوطاتنا وأنهم وضعوا بين أيدينا نصوصاً لولاهم لم نعرفها نضرب على ذلك مثالاً، ففي سنة ١٨٦٦ م نشر وستنفلد (معجم البلدان) لياقوت وفي سنة ١٨١٩ نشر فريتاغ (المنتخب) من تاريخ حلب لابن النديم.

وقال الدكتور صلاح المنجد: وكان على ناشري النصوص من العرب

---

(١) أنظر كتابة قواعد تحقيق المخطوطات ص ٧ الطبعة الرابعة بيروت.

اتباع الطريقة العلمية التي اتبعها المستشرقون والاطلاع على قواعدهم واقتباسها أو اقتباس الجيد منها واتباع قواعد المحدثين القدامى في ضبط الروايات والأعلام.

هذا وما ذكره الدكتور - أثابه الله - هو محاولة توحيد طرق نشر النص المخطوط وقد كتب في ذلك كتاباً أسماه (قواعد تحقيق المخطوطات) ولخّص فيه المناهج السليمة التي تنتهج في إبراز الكتاب نزيهاً من كل عيب يمس النص متناً وحاشية.

وقد أفاد هذا الكتيب طلبة العلم في هذا المجال، والكتاب مع صغر حجمه استوعب الطرق المحكمة في نشر المخطوطات.

فجزى الله المؤلف خيراً عن العلم وأهله.

هذا وقد رحبت هذه القواعد التي ألفها الدكتور صلاح الدين المنجد لتكون دليلاً للمحققين - من قبل كبار العلماء حيث قدمت إلى مؤتمر المجامع العلمية الذي انعقد بدمشق سنة خمس وستين وتسعمائة وألف ١٩٦٥ م للنظر فيها، ودرست لجنة التراث العربي في المؤتمر هذه القواعد وأشادت بقيمتها ووافقت عليها لتكون دليلاً للناشرين عندما ينشرون النصوص القديمة. هذه شهادة من علماء أجلاء يعتمد على قولهم، وترجمت هذه القواعد إلى ست لغات أجنبية غير عربية - الفرنسية والاسبانية والإيطالية والفارسية والتركية والإنكليزية.

هذا وقد ذكرت هذا التمهيد لعلاقته بهذا الموضوع الذي نحن بصدده حيث أنه تحقيق التراث القديم المخطوط، والله ولي التوفيق والسداد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

١ - منهج تحقيق هذه الرسالة

إن أول عمل يقوم به المحقق في هذا المجال السعي إلى معرفة نسخ

الكتاب المخطوط القديم، فإذا كانت للكتاب نسخ عديدة بينها تفاوت ما اعتمد على نسخة يراها أوثق وأنقى ويجعل الباقيات للمقابلة لتكمل بعضها بعضاً.

وعندما لا تتوفر للمحقق إلا نسخة واحدة بعد استنفاد الطاقة في التفتيش عن نسخ الكتاب فإنه يعتمدها في النسخ ويقابلها مع النصوص المقتبسة عنها في المؤلفات اللاحقة.

وهذه النسخة التي اعتمدت عليها في التحقيق فريدة، أعني أن هذه المخطوطة التي حققتها لم أجد لها إلا نسخة واحدة وبذلت قصارى جهدي لأجد نسخاً أخرى لأستعين بها على إتقان العمل فلم أعثر على شيء منها مما اضطرني أن أراجع كتباً كثيرة من مؤلفات المؤلف حيث كانت له ردود مثلها على بعض المتجاهلين للحق.

إلا أن الناسخ الذي نسخ النسخة التي بين يديّ كتب في آخرها على هامش المخطوطة ما نصه:

(بلغت مقابلة على أصل المصنف ولله الحمد والمنة).

وهذا يدل على أن النسخة الأصلية التي كتبها المؤلف بخطه موجودة في مكان ما حتى قوبلت عليها هذه النسخة التي أمامنا كما أثبته الناسخ.

وقد ذكرت ذلك لأن قواعد تحقيق المخطوطات تنص على عدم جواز نشر كتاب مخطوط على نسخة واحدة إذا كان للكتاب نسخ أخرى معروفة لئلا يعوز الكتاب إذا نشر التحقيق العلمي والضبط ولكن هذه النسخة مصححة وسليمة وكاملة ولم يوجد فيها أي نقص وبياض إلا في موضعين، وقد ملأت ذلك بما جاد الله مما يناسب الموضوع ومع ذلك استنفدت طاقتي في مراجعة المظان التي توجد فيها المعلومات التي سجلها المؤلف كما يقتضي منهج التحقيق عندما تكون النسخة المخطوطة فريدة وبالله التوفيق.

٢ - توثيق صلتها بالمؤلف:

والمرتبة الثانية من قواعد التحقيق دراسة الكتاب المنشور من حيث صلته بالمؤلف لأن بعض المخطوطات لا تحمل اسم المؤلف لحرصه على إخفاء نفسه خوفاً من الرياء والسمعة والعجب وفي تلك الحال يتم توثيق الصلة بالمؤلف بما يلي:

١ - شهرة ذلك بطريق التواتر عن الموثوقين من التلامذة والزملاء والمعاصرين أن هذا المخطوط من مؤلفاته.

٢ - شهادة المؤتمنين العارفين بذلك.

٣ - كون الأساليب التي كتب بها المخطوط مشهورة بالمؤلف بحيث أن العبارات التي سيقت في تركيب الجمل مما يخصه وذلك أن لكل مؤلف بصمات لا تحاكي غيره وطريقة خاصة بتأليفه.

٤ - وجود المخطوط بخط المؤلف أو خط ورّاقه الخاص به.

٥ - تصريح المؤلف في أحد كتبه بأن من مؤلفاته كتاباً فلانياً وغير ذلك مما يوثق صلة المخطوط به ويقوي إضافته إليه.

ولكن الأمر هنا واضح لا خفاء عليه إذ كتب على غلاف الرسالة ما يصرح بأنها تآليف الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رحمهم الله ومن هنا لا داعي إلى تطويل الكلام في ذلك والله الموفق لكل خير.

٣ - إن الغرض الأساسي الذي يصبو إليه المحقق هو إبراز الكتاب المنشور بصورة مشرقة صحيحة كما وضعه مؤلفه ما استطاع إلى ذلك سبيلا على أن يستنفد جهده وطاقته في ذلك والغاية القصوى أن يحقق المخطوط وينشر سليماً من الأخطاء النحوية واللغوية والإملائية.

وأما ما يحتاج إليه من بيان الغامض وحل المشكل وشرح الخفي فذاك

في الهامش وهذا هو غاية التحقيق، وقد بذلت قصارى جهدي في ذلك ما استطعت إليه سبيلا والله أسأل الإعانة والتوفيق والسداد فيه.

٤ ـ النقص والبياض

تشير قواعد تحقيق المخطوطات إلى أنه إذا كان في الأصل المخطوط نقص وبياض فإنه يوضع مكانه نقط كل ثلاث نقط مكان كلمة. . . ولكن كما أشرت إلى ذلك لم أفاجأ أثناء نسخ الأصل بالنقص والبياض إلا موضعين وقد كملت ذلك النقص وسددت ذلك الفراغ بما يناسب المقام ولله الحمد والمنة على ذلك.

٥ ـ الآيات القرآنية

الآيات القرآنية التي استدل بها المؤلف في الرسالة ذكرت اسم سورتها وسجلت رقم الآية التي جاءت فيها.

وقد جرت عادة المؤلفين عند استدلالهم بآية قرآنية في مؤلفاتهم باقتصارهم على موضع الاستشهاد وعدم كتابتها كاملة غالباً بيد أنهم يأمرون غيرهم بإكمالها بهذا الرمز (الآية) وقد درج المؤلف رحمه الله تعالى على هذه القاعدة حيث أنه رمز في كثير من الآيات التي استدل بها في الرسالة بهذا الرمز (الآية) ولم يرسمها كاملة ولكنني لم أنحتها مثل نحته بل رسمتها كاملة إتماماً للفائدة حيث أن معظم الناشئين لم يكونوا حفّاظاً لكتاب الله فإذا أرادوا أن يقرأوا الآية كاملة يضطرون إلى فتح المصحف وهذا يستغرق أوقاتاً لا يستهان بها، وأما الآيات التي كررها المؤلف في الاستدلال نحتها كما نحتها وكما أنني في المقدمة التي كتبتها للرسالة رمزت إلى بعض الآيات التي استشهدت بها.

والطريق المثلى في رسم الآيات القرآنية كتابتها بالرسم العثماني الأول بيد أني رسمتها بالرسم الإملائي المعهود بين المعاصرين في أغلب الأحيان

خوفاً على أكثر القراء الذين لا يتقنون الرسم العثماني من الوقوع في الخطأ في تلاوة كتاب الله كما لوحظ على كثير منه حيث أن الرسم العثماني مختلف المنطوق والمخطوط أحياناً ولا يتأتي إجادة التلاوة إلا بالتلقي وهذا أمر معروف لدى أهل هذا الشأن.

وحسماً لما يعتقده أكثر الناس من عدم جواز كتابة الآيات القرآنية إلا بالرسم العثماني واعتقاده وجوب ذلك ـ وحقيقة الأمر هو هذا الاعتقاد ـ إلا أن ذلك في رسم المصحف كاملاً أو بعض الأجزاء القرآنية أو السورة الكاملة.

وأما الآية أو بعض الآيات التي يستدل بها المؤلفون التي تتداولها أيدي مختلفي الثقافات فأرى وجوب رسمها بالرسم المعاصر صوناً لكلام الله من التحريف والتبديل والغلط من قبل الجاهلين لحقيقة هذا الرسم كما ذهب إلى ذلك عز بن عبدالسلام رحمه الله تعالى.

٦ - الأحاديث التي جاءت في صلب الرسالة

وقد أورد المؤلف رحمه الله تعالى الأحاديث التي استدل بها في الرسالة دون أن يعزوها إلى مصادرها الأصلية ولم يذكر الرواة الذين رووها ولا درجتها وكان عملي في ذلك أنني خرجتها في الحاشية وبيّنت درجتها ما استطعت إلى ذلك سبيلا وعزوتها إلى مصادرها الرئيسية التي وردت فيها كما أسندتها إلى رواتها ومع ذلك لم أستوعبها بذلك حيث أشكل عليّ بعض المصادر وهي قليلة جداً، ولعلي إن شاء الله سوف أتلافى ذلك في هذا الطبع أو طبع آخر إن شاء الله.

٧ - الحواشي (الهوامش)

ولا شك أن بصمات التحقيق بعد نسخ المخطوطة تتسم في وجوه الحواشي حيث أن ذلك يشمل ذكر سور القرآن ورقمها ورقم الآيات التي جاءت مستدلاً بها في صلب المتن، وتخريج الأحاديث التي وردت في النص

المحقق، وبيان درجتها من الصحة والحسن والضعف وحجيّتها وعدمه، وحل المعقد من تراكيب الجمل والألفاظ والعبارات وبيان المشكل من ذلك وشرح الغامض وتوضيح معاني الألفاظ التي لا يظهر معناها بأدنى تأمل.

وقد توسعت في التعليق في بعض الصفحات من الحاشية حيث أن المقام قد اقتضى ذلك ولم يسمح لي الاختصار وإن كان هذا التوسع من حيث منهج التحقيق يعتبر إفراطاً مملاً بيد أن الإسهاب في تعبير الكلام وأداء المراد الذي لا يؤدي إلا به لا يكون مذموماً بل هو ممدوح قد اقتضاه التعليق، وأما ما عملته في هذا الجانب فهو متوسط موف بالمقصود وليس هراءاً طويلاً مملاً مفتراً للمجهود ولا قصيراً فاحشاً مخلاً بالمقصود على حد قول الشاعر:

لها بشر مثل الحرير ومنطق	رخيم الحواشي لا هراء ولا نزز
وعينان قال الله كونا فكانتا	فعولان بالألباب ما تفعل الخمر

والله أعلم بالصواب.

٨ - الأعلام الذين ذكرهم المؤلف في المخطوطة

وقد ترجمت لبعض الأعلام الذين جاء ذكرهم في الرسالة ببيان سنتي مولدهم ووفاتهم، وذكر مؤلفاتهم التي خلفوها تراثاً للمسلمين، وأعمالهم التي تقلدوها في حياتهم من التدريس والقضاء والدعوة المباركة التي عملوها والموعظة الحسنة التي أنقذ الحيارى من جرائها حيث أن ذلك يتحتم على المحقق توضيحه، وأما الأعلام المشهورون الذين لا غرابة فيهم ولا تخفي تراجمهم على أفراد الناس فضلاً عن العلماء وطلاب العلم فلم أتعرض لتراجمهم باعتبار أن ذلك تحصيل الحاصل مثل الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وأصحاب الأمهات الست البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي والترمذي وابن ماجه، وغيرهم من المشهورين الذي يشار إليهم بالبنان والله أعلم.

٩ - الكتب التي جاءت أسماؤها في الرسالة

فإذا كانت الكتب التي أوردها المؤلف مشهورة فلا أتعرض لذكر موضوعها ولا ذكر مؤلفيها ولا أطلب توثيقها لمؤلفها لأن شهرتها تغني عن ذلك.

وأما إذا كانت غريبة فأحاول قدر المستطاع توضيحها بذكر مؤلفها ومضمونها وقيمتها العلمية من بين الكتب التي ألفت في ذلك الفن الذي يدور الحوار فيه.

١٠ - النقط والفواصل والإشارات

وقد درجت في ذلك على ما درج عليه المحققون والكتّاب من وضع نقطة كبيرة عند انتهاء المعاني في الجمل، ووضع الفواصل بين المتعاطفات، بيد أني قللت من وضع الفواصل بين ذلك عمداً لأنها ليست ذات أهمية قصوى إذ غايتها إشعار الفصل بين الألفاظ والعطف بين الجمل، ويسهل علم ذلك بدونها، واستعملت إشارة الاستفهام؟ والتعجب! في أماكنها، ووضعت نقطتين بعد القول هكذا قال شيخنا:

وإذا ورد قولان فأضع نقطتين بعد قال الثانية مثل قال أبو بكر وقال عمر:

١١ - الأقواس والخطوط والرموز

القوسان المزهران يحصران الآيات القرآنية.

الفاصلات المزدوجة تحصر أسماء الكتب إذا وردت في النص المنثور.

الخطان القصيران يحصران الجمل المعترضة.

الخطان العموديان يحصران كل زيادة تضاف من نسخة ثانية غير النسخة المعتمدة.

القوسان المكسوران يحصران ما يضيفه الناشر من عنده كحرف أو لفظ يقتضيه السياق.

القوسان المربعان يحصران ما يضاف من نصوص ثانية نقلت إلى النص أو استشهدت به وما يضاف من عنوانات جديدة.

وهذان القوسان داخل النص يحصران وجه الورقة المخطوطة فيكتب مثلاً (١٥ ب).

هذان القوسان داخل النص يحصران ظهر الورقة المخطوطة فيكتب (٢٥ ب).

يردف هذان القوسان مع كلمة كذا بما يبهم على المحقق قراءته ويثبت كما ورد.

هذه الفقرات البائية من كتاب قواعد تحقيق المخطوطات للدكتور صلاح الدين المنجد لأهميته لعمل التحقيق والله المرجوّ لجلب الخير ودفع الضير.

١٢ ـ ترجمة المؤلف رحمه الله تعالى

تتضمن هذه الترجمة مولده ونشأته وهجرته من بلده إلى مصر لظروف دعته وأسرته إلى ذلك، والرحلات العلمية التي قام بها في ممارسة التحصيل العلمي الخيّر والحياة السياسية التي دارت أفلاكها هنا وهناك قوة وضعفاً وآخر يوم لقائه لخالقه وإياه نسأل أن يجعل خير أيامنا يوم نلقاه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد وعلى آله وأصحابه ومن ترسّم خطاهم إلى يوم الدين.

ترجمته

هو العالم التحرير والزعيم الديني الكبير عبد اللطيف بن الإمام عبد الرحمن بن الشيخ حسن بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، ولد هذا العالم رحمه الله في بلدته (الدرعية) عاصمة (الدولة السلفية) الدولة الإسلامية السعودية وذلك في سنة خمس وعشرين ومائتين وألف للهجرة النبوية ١٢٢٥ هـ.

ونشأ وتعلم دروسه الأولى في الكتاتيب المنتشرة في تلك البلدة، وحفظ القرآن الكريم وربّي تربية إسلامية كريمة في بيت والده وأعمامه، وكان لتلك التربية أثر كبير في تنشئته وتوجيهه، وما كاد يبلغ السنة الثامنة حتى حلت تلك الكارثة الهوجاء والمصيبة الدهماء ببلدة الدرعية حيث دمّرت بأيدي السلطة الغازية وأسقط حكم البلاد بقيادة مجرم الحرب (إبراهيم باشا بن محمد بن علي باشا) ومعه جيش كبير من المرتزقة والخونة وأعداء الدولة السلفية.

ومن ثم نقل المترجم له مع والده وعائلته إلى مصر بأمر من الخليفة العثماني وهناك أقام ما يربو على إحدى وثلاثين سنة، وهذه الهجرة كانت فرصة طيبة له على رغم آلامها وأوجاعها المضنية حيث عوّضته بما حصل عليه من علم وفضل وبهذا قد انتقل من مربع إلى مرابع العلم ومعهده إلى

معاهد العلم فدخل في مدينة العلم واستقر في دار من دوره فهذا الأزهر الشريف تعقد في جنباته وأروقته حلقات التفسير والحديث والأصول وعلوم القرآت وعلوم الحديث والفقه وأصوله، وعلوم العربية من النحو والصرف والبلاغة وغير ذلك وها هم كبار العلماء متوفرون ليلاً ونهاراً لإمداد الطلاب بمزيد من العلم والعرفان وها هي المكتبات العامة بنفائس الكتب وذخائر المراجع فصار العلم سلوته في غربته والكتاب جليسه في وحدته والعلماء أنيسه في وحشته فصار يتردد بين بيته والأزهر الشريف فيجد في البيت أباه وعمه وخاله فدرس على جملة من علماء نجد منه جده لأمه الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وخاله الشيخ عبدالرحمن.

وتزوج في مصر وطالت إقامته فيها حتى بلغت واحداً وثلاثين عاماً قضاها كلها في العلم تعلماً وبحثاً ومراجعة ومذاكرة حتى صار من جملة العلماء الكبار وأوعيته الواسعة ولا شك أنه تثقف هذه الثقافة الغزيرة على أيدي رجال مخلصين حتى استطاعوا أن يكوّنوا هذه الشخصية الفذة.

٣ - شيوخه:

وممن لهم اليد البيضاء في تثقيفه العلماء النجديون الذين هاجروا إلى مصر في تلك المأساة التركية الباشية مثل:

١ - جده لأمه الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب.
٢ - وخاله الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد.
٣ - ووالده الشيخ عبد الرحمن بن حسن.
٤ - الشيخ أحمد بن حسن بن رشيد المشهور بالحنبلي.

كل هؤلاء من النجديين الذين تلقى عنهم في مصر يلقنونه العقيدة الصحيحة ويدرسونه علوم السلف الصالح ويجد في الأزهر بقية من البحث وتدقيق المناقشة واستيعاب ما في المتون والشروح عند حملة ذلك من العلماء الأجلاء ومن هؤلاء العلماء:

١ ـ الشيخ العلّامة محمد بن محمود الجزائري.

٢ ـ والشيخ العالم الفرضي المعروف إبراهيم الباجوري شيخ الجامع الأزهر آنذاك.

٣ ـ والشيخ العالم مصطفى الأزهري.

٤ ـ والشيخ أحمد الصعيدي.

وغير هؤلاء المذكورين من كبار علماء مصر والمغرب المقيمين في الأزهر ونال إجازات كثيرة من جلة العلماء الأفذاذ وأجيز في مسلسلات الحديث المشهور وعرف آنذاك في الأزهر الشريف بالعالم النجدي وكانت له مجادلات ومناظرات في كتب السلف ومعتقداتهم وقد أشار إليه المؤرخ الجبرتي في تاريخه.

عودته الى نجد

فلما طهّرت نجد من الجيش العثماني المحتـل ونادى داعي العـودة في ربي نجد مستنهضاً الهمم في استعادة مجد الدعوة وبناء كيان الدولة الإسلامية السعـودية من جـديد وكـان ذلك المنـادى أحد القـادة الكبار (الإمـام تركي بن عبدالله بن مؤسس الدولـة الأولى محمد بن سعـود، وكان الشيـخ عبد اللطيف ووالده الإمام الشيخ عبد الرحمن بن حسن والد المترجم له أول من سارع في الخطو إلى نجد فتقدم أبوه عبد الرحمن بن حسن وتـأخر الشيـخ عبد اللطيف عنه مدة من الزمن كان مشغـولاً فيها بـطلب العلم واستجلاء الأمـر واستيضاح السبيل ثم خرج إلى نجد عام أربعة وستين ومائتين وألف بعد استشهاد الإمـام تـركي بن عبدالله في حـادث اغتيـال لئم فتـولي السلطة بعـده الإمـام العـادل والزعيم الكبير فيصل بن تركي خرج الشيخ عبد اللطيف من مصر متـوجهاً إلى نجد عن طريق مكة المكرمة.

قال صاحب كتاب علماء نجد خلال ستة قرون (الشيـخ عبدالله بن عبـد الرحمن بن صالح البسّام): حدثني وجيه الحجـاز الشيخ محمـد بن حسين بن عمـر بن عبدالله نصيف قـال: بينما الشيـخ عبد اللطيف يـطوف بالكعبـة بعـد انصرافه من القاهرة إلى نجد إذ بصر به أمير مكة الشريف محمد بن عون وهو في بيته المطل على الحرم ومعه ابنـه عبدالله ابن محمـد بن عون وهـو يومئـذ قائم مقام مكة المكرمة، فأرسلا إليه أحد خدامهما يطلبان منه المجيء إليهما فلما فرغ

الشيخ من طوافه وصلاته ذهب إليهما وكان قد تعارف معهما في مصر فقابلاه بالحفاوة والإكرام وعاتباه على عدم نزوله عندهما فاعتذر إليهما الشيخ عبد اللطيف بقوله: إني خشيت من امارة مكة أن تردني إلى مصر فطمأناه وتحدثا معه عن صفة خروجه من مصر فقال: اشتقنا إلى بلادنا ووجدنا السبيل إلى الخروج ميسرة فأكرماه بما يليق بمقامه ثم توادعوا لقرب سفر الشيخ إلى نجد.

وكان قدومه الرياض ـ العاصمة الجديدة للمملكة السعودية ـ عام أربعة وستين ومائتين وألف للهجرة ١٢٦٤ هـ وصاحب السلطة المطلقة يومئذ الإمام فيصل بن تركي في بلاد نجد وأبوه الشيخ عبد الرحمن بن حسن هو المرجع في الشؤون الإسلامية والشرعية.

وكان الشيخ عبد الرحمن قد دخل العقد الثامن من عمره واحتاج إلى مساعد قوي يعينه على مهامه الكبيرة الكثيرة وأعماله الجليلة. وكان في مقدمة مستقبلية والمرحبين إيابه يوم قدومه الرياض عِلما الجهادِ ومجددا الدعوةِ في عصرها الثاني الإمام فيصل ابن الإمام تركي وأبوه الشيخ عبد الرحمن بن حسن ووالده آنذاك رئيس العلماء ومفتي الديار، فاستقر الشيخ المترجم له في مدينة الرياض بعد رحلة شاقة قطعها متنكراً من مصر حتى مدينة الرياض وقد تعرّض في تلك الرحلة لمشاق كبيرة وجرت له حوادث طريقه ساعد على تجسيمها وتضخيمها لهجته المصرية التي هي غير مألوفة في نجد ولباسه التنكري الذي أراد منه أن يخلص من سفه جهّال البادية وقطّاع الطرق المنتشرين في طريقه.

وعندما استقر به المقام في الرياض اتخذ من المسجد الكبير المعروف بمسجد الشيخ (عبدالله) مدرسة كبيرة لتدريس مختلف الفنون والعلوم لا سيما تلك العلوم التي لم يشتهر تعليمها في نجد سابقاً مثل علوم البلاغة وقواعد الفقه والأصول والتجويد بالإضافة إلى العلوم الأخرى التي كانت معروفة في نجد، وقد عرف حينذاك بسعة الأفق في العلوم وقوة الحافظة والقدرة على التعبير.

رحلته إلى الأحساء

عنـدما دانت الأحســاء ونواحيهـا للإمـام فيصل بن تـركي وكانت إذ ذاك مدينة حضرية مزدحمة بالعلماء والأدباء رأى الإمام فيصل أن يبعث ذلك العالم الجليل إليها للقيام بمهمة نشر العقيدة السلفية التي يتردد في قبولها فئة خاصـة من العلماء هناك ويـرون في مذهب الخلف غنى) وعلمـاً أكثر ممـا في مذهب السلف وهناك تجرد الشيخ عبد اللطيف لمناظرتهم ومـذاكرتهم وتقـرير عقيـدة السلف بينهم فاستجاب لـه معظمهم والتقت قـوة الفكر بقـوة المعتقد فـزلزلت العقائد المشوهة وانتشر مذهب السلف أيما انتشار وانتفع بوجـوده في الأحساء كثير من العلماء وسمعوا منه وتلقوا عنه علوماً لم تكن معروفة في غير الأزهر.

مهام وظائفه
التي شغلها بعد عدوته من الأحساء

ثم عاد الشيخ عبـد اللطيف إلى مدينـة الريـاض ليكون مستشـاراً ومفتياً ومساعداً لوالده الـذي بلغ من الكبر حـد العجز عن تـولي تلك الشئون فكـان عضداً للإمام فيصل ومفتياً له ولم يعـرف أن الإمام فيصـل خرج في غـزوة إلا كان الشيخ عبد اللطيف في رفقته ويصحبه عدد من طلبة العلم ومجموعـة من الكتب في الفنون المختلفة.

وكان الشيخ عبد اللطيف ينتهز الفرصة في تلك الـرحلات فيعظ ويـذكر وينشر الدعوة ويعلم الجاهل ويرشد الضال ويتعرف على طبيعة البلاد وسكانها فيمد إمام المسلمين بالرأي والمشورة.

وله صفات ذاتية وفكرية مميزة، فهو أكثر علماً ممن سبقه من آل الشيخ باستثناء والده وجده العظيم محمد بن عبد الوهاب، ومن أبرز صفاته الجسدية أنه كان ضخم الجثة قوي البنية سليم الأعضاء والحواس أبيض مشربـاً بحمرة كث اللحية مستدير الوجـه جهوري الصـوت حاد البصـر، وكان جميـل الخط

واضح العبارة فصيح اللسان تغلب على لغته الدارجة اللهجة المصرية الخفيفة.

وكان يحب ـ أحياناً ـ أن يحافظ على زيه الأزهري، فكثيراً ما يلذ له أن يلبس العمامة والثوب الفضفاض وكان مهيب الطلعة جسوراً في قول الحق وكان ذكر الله وتلاوة القرآن ديدنه يتفانى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويحب أن ينصح غيره وأن يستمع إلى نصيحة غيره وكان يحرر الرسائل الكثيرة المشتملة على المعاني والنصائح القيمة يوجهها إلى العلماء والقضاة والأمراء والملوك وكانت بعض رسائله العامة ونصائحه تتلى في المساجد على العامة بعد أداء فريضة الصلاة في كل مناسبة تجدّ أو تحدث.

وكان الشيخ عبد اللطيف مع علمه الغزير وفضله الكبير سياسياً داهية خبيراً بشئون المجتمع وعندما وقعت الفتنة العمياء بين أولاد الإمام فيصل عبدالله الفيصل وسعود الفيصل بعد وفاة والدهما سعى المؤلف في إخمادها ولذلك لم يستقر له قرار ولم يهنأ له بال حتى هدأت تلك الفتنة وانجابت تلك الغمة وبذل رحمه الله من ذاته ورأيه في إخمادها ما جعل كل مواطن يذكر فضله ويعترف له بالفضل والقدرة وحسن التصرف ولقد طال أمد تلك الفتنة العمياء وامتد زمنها فكانت مليئة بالحزن والأسى والفزع لكنه رحمه الله وقف منها موقف الشرف الذي شهد له بالزعامة والإخلاص والوطنية ويؤخذ من كتاباته التي سجلها في هذه الفترة ومن مجادلاته لغيره من العلماء حول تلك الفتنة أنه كان ينظر إليها من زاوية تختلف عن كل رؤية يراها البسطاء وضعاف الهمم.

وقد كانت نظرته العميقة الشاملة لتلك الفتنة أنها ليست بين أميرين فحسب وإنما كانت أبعد عمقاً وأكثر اتساعاً فقد كانت تستهدف دك حصون الدعوة وسحق الكيان المتماسك الذي أسسه السادة من آل سعود وكان المؤلف رحمه الله يرى أن الخوف كل الخوف ليس من نزاع الأميرين وإنما يرقب بحذر تحرك الأعداء التقليديين والأعداء الدخلاء المتربصين الجاثمين

على الحدود، لهذا كان يرى أن أيـاً من ذينك الأميـرين استطاع الغلبـة وقيادة السفينة وأصبح قادراً على الولاية فإنه أحق من صاحبـه لا سيما وقـد كان كـل منهما متحمساً للدعوة وللحفاظ على ذلـك التراث العـظيم الذي تـركه فيصـل وقد جاء في إحدى رسائله لمن لامه على هذا المسلك قوله: (أما ما صدر في حقي من الغيبـة والقـدح والاعتـراض والمسبـة ونسبتي إلى الهـوى والعصبيـة فتلك أعراض انتهكت في ذات الله أعدها لديـه جل وعـلا ليوم فقـري وفاقتي وليس الكلام فيها وإنما المقصود بيان ما أشكل على الخواص والمنتسبين من طريقتي من تلك الفتنة العمياء الصماء إلى أن قال: (فوقي الله شر تلك الفتنة ولـطف بنا وإنمـا الكلام في بيـان ما نـراه ونعتقده في أمـر الولايـة بعد الغلبـة والقهر فهي تنفذ بها الأحكام وتجب الطاعة في المعروف كما عليـه كافـة أهل العلم على تقادم الأعصار ومر الدهور.

مؤلفاته الفذة

ومع انشغاله بالمهام والأعمال الكبيرة ومع حصول هذه الفتنة العمياء الصماء ومع اختطاف المنية له وهو في منتهى قوته ونشاطه وإنتاجه فقد شارك مشاركة كبيرة في المؤلفات إلا أنها في الرد على المبطلين ودحض شبه المنحرفين ففتن السياسة وفتن الإلحاد لم تعطه الفرصة لإتمام شرح النونية وإتمام شرح الكبائر وإخراج كتب أخرى تعالج علوماً غريبة أو تقرب مسائل بعيدة.

ولذا فمؤلفاته رحمه الله هي:

١ - منهاج التأسيس في الرد على داود بن جرجس.
٢ - مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام.
٣ - البراهين الإسلامية في الرد على الشبه الفارسية. وهو الذي نحققه الآن.
٤ - الرد على عبد المحسن الصحافي.
٥ - عيون الرسائل والمسائل على أن له مجموع رسائل وفتاوى تبلغ إلى ست وسبعين رسالة وقد جمعها الشيخ سليمان بن سمحان.

تلاميذه

ومن تلاميذه الذين تلقوا العلم عنه:

١ - ابنه العلاّمة الشيخ عبدالله ٢ - أخوه الشيخ اسحق
٣ - الشيخ حسن بن حسين آل الشيخ ٤ - الشيخ سليمان بن كمان
٥ - الشيخ محمد بن محمود ٦ - الشيخ حمد بن فارس
٧ - الشيخ صعب التويجري ٨ - الشيخ محمد بن عمر بن سليم
٩ - الشيخ عبد الرحمن بن محمد المانع ١٠ - الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم
١١ - الشيخ إبراهيم بن عبد الملك ١٢ - الشيخ علي بن عيسى آل الشيخ
١٣ - الشيخ أحمد بن عيسى ١٤ - الشيخ عثمان بن عيسى السبيعي
١٥ - الشيخ محمد بن إبراهيم بن سيف ١٦ - الشيخ عمر بن يوسف
١٧ - الشيخ صالح بن فرناس ١٨ - الشيخ صالح الشهري
١٩ - الشيخ عبد العزيز بن عبد الجبار ٢٠ - الشيخ عبد العزيز العيدان
٢١ - الشيخ عبدالله الوهيبي ٢٢ - الشيخ عبدالله الخرجي
٢٣ - الشيخ عبدالله بن جريس

وكثير من حملة العلم الكبار هم تلاميذه والآخذون عنه لانفراده في زمنه.

وفاته وثناء أهل الفضل عليه

توفي رحمه الله في مدينة الـرياض في اليـوم الرابـع عشر من شهـر ذي القعدة عام ثلاثة وتسعين ومائتين وألف للهجرة النبوية ١٢٩٣ هـ وله من العمر يومئذ ثمانية وستون ـ ٦٨ ـ عاماً سبحان ربـك رب العزة عمـا يصفون وسـلام على المـرسلين سبحان الحي الـذي لا يموت ولا يـزول وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين ولا حول ولا قوة إلا بالله

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفي، وبعد.

فإني قد وقفت على أوراق كتبها بعض الملحدين يرد فيها بزعمه ما دل عليه الدليل من وجوب إخلاص الدعاء لله وترك مسألة ما سواه من الأنداد والأموات، وكذلك جحد فيها ما قام عليه البرهان ونطق به القرآن من اختصاصه تعالى بعلم الغيب، وزعم أن للأولياء والصالحين بعد الممات تصرفاً وأنهم يجيبون من قصدهم بالاستغاثة والدعاء (وإعطاء ما اختص به الباري لغيره وردّ الشيخ على ذلك).

(قال الناقد الشيخ عبد اللطيف رحمه الله):

وهذه الأقوال التي أوردها والشبه التي صدرها يعلم بطلانها وفسادها بالاضطرار من دين الإسلام وما جاءت به الرسل الكرام ولكن غربة الدين وقلة من يعرفه من المنتسبين قد يروج بسببهما الباطل والشرك على الأكثرين. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية).

فإذا كان عدم معرفة الجاهلية سبباً لنقض العرى الإسلامية فما ظنك بمن لا يعرف الإسلام ولا الجاهلية كما هو الغالب في هذه الأوقات.

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه أخذ[1] حصاة بيضاء فوضعها في كفه ثم قال:

هذا الدين قد استضاء استضاءة هذه ثم أخذ كفاً من التراب فجعل يذره على الحصاة حتى واراها ثم قال: والذي نفسي بيده ليجيىء أقوام يدفنون هذا الدين كما دفنت هذه الحصاة ولتسلكن طريق الذين كانوا من قبلكم حذو القذة بالقذة وحذو النعل بالنعل). يشير رضي الله عنه إلى جنس هؤلاء الذين يلقون على عوام الناس وضعفاء البصائر من الشبهات ما يستميلونهم به إلى دعاء غير الله والالتجاء بسواه والاعتماد والتوكل على الأولياء والصالحين، حتى ينسلخ من استجاب لهم من حقائق الملة والدين، ويصير في زمرة الجاهلية والمشركين.

وفي حديث ثوبان: «إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين»[2].

---

(١) وهذا الأثر الذي ذكره حذيفة رضي الله عنه لم أطلع على لفظه في الكتب الصحاح ـ وإن لم استوعبها ـ إلى قوله رضي الله عنه: (ولتسلكن طريق الذين كانوا من قبلكم) ـ وأما هذه الفقرة الأخيرة فجاءت مرفوعة إلى النبي ﷺ في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما وأيضاً معنى هذا الأثر السابق جاء مرفوعاً إلى النبي ﷺ من رواية حذيفة نفسه في صحيح البخاري حيث أسنده هذا الإمام محمد بن إسماعيل رحمه الله فقال: حدثنا محمد بن المثنى: حدثنا الوليد بن مسلم: حدثنا ابن جابر: حدثني بسر بن عبيد الله الحضرمي: أنه سمع أبا إدريس الخولاني: أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول: (كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر» قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها» قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: «هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا» قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم» قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك».

أنظر صحيح البخاري حديث رقم ٣٤١١ جـ٣ ص ١٣١٩ وأخرجه مسلم في الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن رقم الحديث ١٨٤٧ .

(٢) رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي والبرقاني في صحيحه.

(رمي أهل التوحيد بالاعتزال جهل منه): قال:

وقد زعم أن من آمن بإخلاص الدعاء لله وآمن بأنه هو علّام الغيوب وأنكر أن يكون لأحد من الأموات تصرف في ملك الله يصير معتزلياً (وقال):

وكأن الرجل لا يعرف الاعتزالِ بالمعنى الإصطلاحي.

فإن أصل الاعتزال هو القول بالمنزلة بين المنزلتين ثم انضاف إلى هذا القول ما كانت عليه المعتزلة من تعطيل الصفات وجحدها والقول في القدر والجبر ونحو ذلك مما هو معروف عنهم[1].

---

(١) كالأصول الخمسة التي أصّلوها مناقضين بها أصول الدين الخمسة التي اتفق عليها الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وبنوا مذهبهم على الأصول الخمسة التي سمّوها العدل والتوحيد وإنفاذ الوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولبسوا فيها الحق بالباطل، إذ شأن البدع هذا، اشتمالها على حق وباطل وهم مشبهة الأفعال، لأنهم قاسوا أفعال الله تعالى على أفعال عباده، وجعلوا ما يحسن من العباد يحسن منه وما يقبح من العباد يقبح منه، وقالوا يجب عليه أن يفعل كذا ولا يجوز له أن يفعل كذا بمقتضى ذلك القياس الفاسد فإن السيد من بني آدم لو رأى عبيده تزني بإمائه ولا يمنعهم من ذلك لعدّ إما مستحسناً للقبيح، وإما عاجزاً، فكيف يصح قياس أفعاله سبحانه وتعالى على أفعال عباده؟.
والكلام على هذا المعنى مبسوط في موضعه.
أما العدل، فستروا تحته نفي القدر، وقالوا إن الله لا يخلق الشر ولا يقضي به إذ لو خلقه ثم يعذبهم عليه يكون ذلك جوراً والله تعالى عادل لا يجور ويلزم على هذا الأصل الفاسد أن الله تعالى يكون في ملكه ما لا يريده فيريد الشيء ولا يكون ولازمه وصفه بالعجز تعالى الله عن ذلك.

وأما التوحيد فستروا تحته القول بخلق القرآن، إذ لو كان غير مخلوق لزم تعدد القدماء، ويلزمهم على هذا القول الفاسد أن علمه وقدرته وسائر صفاته مخلوقة أو التناقض وأما الوعيد فقالوا: إذا أوعد بعض عبيده وعيداً فلا يجوز ألا يعذبهم ويخلف وعيده لأنه لا يخلف الميعاد، فلا يعفو عمن يشاء ولا يغفر لمن يريد، عندهم.
وأما المنزلة بين المنزلتين فعندهم أن من ارتكب كبيرة يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر. =

وأصل التسمية أن عمرو بن عبيد وأصحابه اعتزلوا مجلس الحسن البصري رحمه الله وأظهروا مخالفته.

هذا أصل الاعتزال في اصطلاح الفقهاء والمتكلمين، والنظار، وهذا هو الذي يطلق عليه عندهم الاعتزال بالمعنى الاصطلاحي.

وأما اعتزال من دعا غير الله والتجأ واعتمد على ذلك الغير لحصول مطلوبه أو دفع مرهوبه فإن اعتزال من فعل هذا والبراءة منه هو دين الإسلام الذي جاء به الرسل الكرام قال تعالى عن خليله إبراهيم: ﴿واعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقياً﴾[1].

ولله در الإمام الشافعي رحمه الله، حيث يقول:

يا راكباً قف بالمحصب من منى ... واهتف بجانب خيفها والناهضي
إن كان رفضاً حب آل محمد ... فليشهد الثقلان أني رافضي[2]

وكانت الجاهلية تسمي رسول الله ﷺ الصابيء وتقول صبأ محمد لما فارق دينهم وما هم عليه من عبادة الملائكة والصالحين والأوثان وكان أبو

= وأما الأمر بالمعروف فهو أنهم قالوا: علينا أن نأمر غيرنا بما أمرنا به، وأن نلزمه بما يلزمنا وذلك هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وضمّنوه أنه يجوز الخروج على الأئمة بالقتال إذا جاروا.

(١) سورة مريم، آية رقم ٤٨.

(٢) إعراب هذين البيتين اللذين قالهما الإمام الشافعي رحمه الله: يا حرف نداء مبني على السكون لا محل له من الإعراب راكباً منادى نكرة غير مقصودة منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة في آخره، قف فعل أمر مبني على السكون وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره أنت والجملة من الفعل والفاعل معترضة بين الجار والمجرور ومتعلقهما بالمحصب الجار والمجرور متعلق بقف من حرف جر مبني على السكون مني مجرور بمن وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف المحذوفة لضرورة الشعر منع من ظهورها التعذر الجار والمجرور متعلق براكباً واهتف الواو عاطفة مبني على الفتح اهتف فعل أمر مبني على السكون وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره أنت والجملة من الفعل والفاعل معطوفة على جملة قف بجانب الباء حرف جر مبني على الكسر جانب مجرور بالباء وعلامة كسره ظاهرة.

جهل يتبع رسول الله ﷺ في الموسم وهو يدعو الناس إلى أن يمنعوه[1] لئلا

(١) (في الأصل ليبيغ لعل الصواب لئلا يبلغ كلام ربه) في آخره الجار والمجرور متعلق باهتف والناهض الواو حرف عطف مبني على الفتح الناهض معطوف على راكباً منصوب وعلامة نصبه فتحة مقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بالكسرة المجلوبة على الأخير لأجل الياء التي أتي بها للقافية ويجوز أن يكون معطوفاً على جانب المجرور بالباء على تقدير معنى واهتف بالمرتحلين من مسجد الخيف ـ إن كان رفضاً إن حرف شرط وجزم مبني على السكون كان فعل ماض ناقص مبني على الفتح في محل جزم إن الشرطية رفضاً خبرها مقدم منصوب وعلامة نصبه فتحة ظاهرة في آخره حب اسمها مؤخر مرفوع وعلامة رفعه ضمة ظاهرة في آخره وجملة كان واسمها وخبرها فعل شرط فليشهد الفاء رابطة بأءن اللام لام الأمر مبني على السكون يشهد فعل مضارع مجزوم بلام الأمر وعلامة جزمه السكون الثقلان فاعل مرفوع وعلامة رفعه الألف لأنه مثنى الخ.
ووجه استشهاد المؤلف بهذين البيتين الذين ذكرهما الشافعي رحمه الله أن حب آل بيت رسول الله ﷺ واحترامهم دين وإيمان وإحسان وليس رفضاً وتشيّعاً شريطة ألا يجر ذلك إلى مس أصحاب رسول الله ﷺ بأدنى شيء من السب والطعن وحطهم عن المنازل التي أنزلهم الله فيها كما أن معنى الاعتزال الذي قرره القرآن هو الابتعاد عن الشرك وأهله والبراءة من كل ما يخل التوجه إلى الله وإخلاص العبادة له وليس معنى الاعتزال في القرآن ما أصطلح عليه الفقهاء والمتكلمون والنظار من إطلاقه على مفارقة جماعة من تلاميذ الحسن البصري مجلسه مخالفة ورفضاً لما ذهب إليه مما يعتقده السلف الصالح من أصول الدين من أن مرتكب الكبيرة مؤمن لا يخلّد في النار إذا مات قبل أن يتوب عنها حيث ذهب هؤلاء المعتزلون عن مجلس الحسن إلى أن مرتكب الكبيرة يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر وهو بين منزلتين (الإيمان والكفر) ويخلد في النار، والمعتزلة موافقون للخوارج هنا في حكم الآخرة فإنهم موافقون على أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار، قالت الخوارج: نسميه كافراً وقالت المعتزلة: نسميه فاسقاً فالخلاف بينهم لفظي فقط، وأهل السنة أيضاً متفقون على أنه يستحق الوعيد المرتب على ذلك الذنب كما وردت به النصوص لا كما يقوله المرجئية من أنه لا يضر مع الإيمان ذنب ولا ينفع مع الكفر طاعة وإذا اجتمعت نصوص الوعد التي استدلت بها المرجئية ونصوص الوعيد التي استدلت بها الخوارج والمعتزلة ـ: تبين لك فساد القولين ولا فائدة في كلام هؤلاء سوى أنك تستفيد من كلام كل طائفة فساد مذهب الطائفة الأخرى.
هـ شرح الطحاوية ص ٢١٨.

والذين وافقوه فيما ذكر الجهمية المحضة كالقرامطة والإسماعيلية حيث وصفوه بالنفي فقط فقالوا ليس بحي ولا سميع ولا بصير فإذا قيل لهؤلاء: هذا مستلزم وصفه بنقيض ذلك كالموت والصمم والبكم قالوا: إنما يلزم ذلك لو كان قابلاً لذلك وهذا الاعتذار يزيد قولهم فساداً وكذلك من ضاهى هؤلاء وهم الذين يقولون: ليس بداخل العالم ولا خارجه إذا بيل =

يبلغ كلام ربه ويقول: لا تطيعوا هذا الصابيء، ومعنى الصابيء قريب من معنى المعتزلي.

(قال الشيخ عبد اللطيف رحمه الله):

قال المعترض: فصل ونحمدك يا واجب الوجود، (وقال الراد رحمه الله): هذا القول الذي صدّر به رسالته وهذه العبارة لا تعرف في كلام الله الذي لا يضل من اتبعه ولا يشقي ولا في كلام رسوله الكريم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ولا في كلام أحد من أئمة الإسلام والهدى وإنما أخذها بعض المصنفين عن أهل الكلام. والمناطقة الذين أعرضوا في باب معرفة الله وإثبات وجوده وربوبيته - عن الكتاب والسنة وما درج عليه أهل العلم والإيمان من سلف الأمة واعتمدوا في هذا الباب على مجرد الأقيسة الكلامية والمقدمات المنطقية، وأول من عرفت عنه هذه العبارة هو ابن سينا الطبيب المتكلم وخالف سلفه[1] في التعبير بهذا فإنه قسم الوجود إلى واجب

لهم: هذا ممتنع في ضرورة العقل، كما إذا قيل: ليس بقديم ولا محدث ولا واجب ولا ممكن ولا قائم فنفسه ولا قائم بغيره قالوا: هذا إنما يكون إذا كان قابلاً لذلك والقبول إنما يكون من المتحيز انتفى قبول هذين المتناقضين فيقال لهم: علم الخلق بامتناع الخلو من هذين النقيضين هو علم مطلق لا يستثني منه موجود والتحيز المذكور إذا أريد به كون الأحياز الموجودة تحيط به فهذا هو الداخل في العالم وان اريد به أنه منحاز عن المخلوقات إلى مباين لها متميز عنها فهذا هو الخروج ومن هنا تعين بطلان مذهبهم.
ا هـ الرسالة التدمرية ص ٤٣ - ٤٤.

(١) والمراد بسلفه الذي أشار إليه الشيخ رحمه الله هو أرسطو حيث أنه أول حامل هذه الراية الإلحادية كما ذكر ذلك غير واحد من أهل العلم وقرر ذلك الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي في كتابه (الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين) الذي أوضح فيه جرائم الفلاسفة التي أدت بهم إلى الكفر بالله ورسله وملائكته وانسلاخهم عن الدين السماوي حيث قرر أنهم شر من اليهود والنصارى ومشركي العرب: قال في بيان ذلك: أما بعد فإن الله تعالى بعث رسله مبشرين ومنذرين وجعلهم الهداة والأئمة إلى كل علم صحيح نافع ودين صحيح وإلى كل صلاح وخير، وخص محمداً ﷺ بأن جعله خاتمهم وإمامهم وأنزل عليه الكتاب والحكمة فيهما الهدى والنور، وفيهما العلوم النافعة والحقائق الصادقة والأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة والآداب العالية إليهما ينتهي كل علم وحق وكمال.

وممكن وجعل الممكن مستلزماً للواجب لكنه قال: الواجب لا يكون إلا

وقد أوضح الله ورسوله المسائل والدلائل والحقائق اليقينية والبراهين القطعية فمن تمسك بهما واهتدى بهما سعد في الدنيا والآخرة ومن أعرض عنهما ضل عن الهدى وشقي ونال الصفقة الخاسرة.

وأعظم الناس انحرافاً عنهما ملاحدة الفلاسفة وزنادقة الدهريين وهم أكبر أعداء الرسل في كل زمان ومكان وهم شرار الخلق الدعاة إلى الضلال والشقاء، فإنهم تصدوا لمحاربة الأديان كلها وزين لهم الشيطان علومهم التي فرحوا بها واحتقروا لأجلها ما جاءت به الرسل ﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون﴾ سورة غافر، آية ٨٣. وقد أصّلوا لباطلهم أصولاً يقلد فيها بعضهم بعضاً وهي في غاية الفساد، يكفي اللبيب مجرد قصورها عن إقامة البراهين على نقضها لكونها مناقضة للعقل والنقل ولكن زخرفوها وروّجوها فانخدع بها أكثر الخلق. أعظمها عندهم أصل خبيث منقول عن معلمهم الأول أرسطو اليوناني المعروف بالإلحاد والجحد لرب العالمين والكفر به وبكتبه ورسله.

وهذا الأصل الذي تفرع عنه ضلالهم أنه من أراد الشروع في المعارف الإلهية فليمسح من قلبه جميع العلوم والاعتقادات وليسع في إزالتها من قلبه بحسب مقدوره وليشك في الأشياء ثم ليكتف بعقله وخياله ورأيه، وكملوا هذا الأصل الخبيث بحصرهم للمعلومات بالمحسوسات وما سوى ما أدركوه بحواسهم نفوه.

وهذا أصل أفسد عليهم علومهم وعقولهم وأديانهم، وقد بيّن الناس على اختلاف نحلهم بطلان أصولهم وأن أهلها خالفوا جميع الرسل وجميع العقلاء.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: إن العلوم المدركة بالحس إذا نسبت إلى علوم الرسل - كالعلوم المتعلقة بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه وأحوال الآخرة والجزاء على الخير والشر وأمور الغيب بما كان وما يكون وما يسعد النفوس ويشقيها - كانت كقطرة في بحر لجّي. فأمور الغيب التي تتوقف على أخبار الرسل ووحي الله وهدايته العامة والخاصة أبطلها هؤلاء الملاحدة إذ ضيقوا دائرة المعلومات جدا في مدركات حواسهم، فلهذا حاروا واضطربوا ولم يستقر لهم قرار على أقوال تتفق عليها آراؤهم لأنهم أنكروا العلم الحقيقي النافع الذي يربي النفوس ويسعدها ويرقيها في مدارج الكمال، ومن المنكر والزور تخصيصهم علومهم القاصرة باسم العلم فحيث أطلقوا العلم أرادوا به علوم الفلسفة وما نتج عنها ونفوا العلم عما سواها وهذا من باب المكابرات وقلب الحقائق وإلا فالعلم الحقيقي الذي أثنى الله عليه في كتابه علوم الرسل وهداية الوحي المنّزل من عند العليم الخبير، وما سواها فإما علوم ضارة وإما قليلة النفع وإما نافعة في أمور الدنيا دون أمور الدين. أنظر كتاب المذكور ص ٣ - ٤ - ١٧ - ١٨.

واحداً فلا يكون له صفة ثبوتية فسلبه صفات الكمال ونعوت الجلال ونعته هو ومن وافقه بالسلوب التي تقتضي أنه واجب العدم وهؤلاء أصابهم في لفظ واجب الوجود ما أصاب القدرية في القديم[1] والحادث والفلاسفة الذين يسندون الحوادث إلى الفلك يقولون بواجب الوجود، لكنه عندهم علم على حال واحدة في الأزل إلى الأبد يمتنع أن يصدر عنه حادث.

---

(١) والذي أصاب القدرية في القديم والحادث أن القدرية أنكرت علمه القديم وأثبتت علمه الحادث وقالوا: إن الله تعالى لا يعلم أفعال العباد حتى يفعلوا تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً وقالوا أيضاً: إنه يعلم الكليات دون الجزئيات، والقدر الذي هو التقدير المطابق للعلم يتضمن أصولاً عظيمة.

أحدها: أنه عالم بالأمور المقدّرة كليها وجزئيها قبل كونها فيثبت علمه القديم.

الثاني: أن التقدير يتضمن مقادير المخلوقات ومقاديرها هي صفاتها المعيّنة المختصة بها فإن الله تعالى قد جعل لكل شيء قدراً قال تعالى: ﴿وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾ فالخلق يتضمن التقدير تقدير الشيء في نفسه بأن يجعل له قدراً وتقديره قبل وجوده فإذا كان قد كتب لكل مخلوق قدره الذي يخصه في كميّته وكيفيته كان ذلك أبلغ في العلم بالأمور الجزئية المعيّنة خلافاً للقدرية الذين يقولون: إنه تعالى يعلم الكليات دون الجزئيات ويعلم الحادث دون القديم، فالقدر يتضمن العلم القديم والحادث وعلم الجزئيات والكليات قال تعالى: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾ وقال أيضاً: ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير﴾ وقال: ﴿ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير﴾ وهذه الآيات الكريمة من أدل الدليل على بطلان مذهب القدرية نفاة العلم القديم السابق قبّحهم الله - وقوله تعالى: ﴿إن ذلك على الله يسير﴾ أي أن علمه تعالى الأشياء قبل كونها سهل عليه عز وجل لأنه يعلم ما كان وما يكون، وقوله تعالى: ﴿لكيلا تأسوا﴾ الآية أي أعلمناكم بتقدم علمنا وسبق كتابتنا للأشياء قبل كونها وتقديرنا الكائنات قبل وجودها لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطئكم وما أخطأكم لم يكن ليصيبكم ولا تحزنوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم أي لا تفخروا بما أنعم الله به عليكم على الناس فإن ذلك ليس بسعيكم ولا بكدكم وإنما هو عن قدر الله ورزقه لكم فلا تتخذوا نعم الله أشراً ولا بطراً تفخرون بها على العباد ولهذا قال تعالى: ﴿والله لا يحب كل مختال فخور﴾ قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: ناظروا القدرية بالعلم فإن أقروا به خصموا وإن أنكروا كفروا. فالله تعالى يعلم أن هذا مستطيع يفعل ما استطاعه فيثيبه وهذا مستطيع لا يفعل ما استطاعه فيعذبه فإنما يعذبه لأنه لم يفعل مع القدرة وقد علم الله ذلك منه ومن لا يستطيع لا يأمره ولا يعذبه على ما لم يستطعه. هـ شرح الطحاوية ص ٢١٦ ببعض التصرف.

والـواجب في هذا البـاب وغيـره اتبـاع مـا جـاء في كتـاب الله والتعبيـر بـالعبارة الشـرعية التي دل عليهـا الكتاب والسنـة وترك المتشـابه من الكـلام، ونحن لا ننكر أن العقل يوجب وجود رب قادر قاهـر حكيم خلّاق رزّاق وهـذا تقتضيه العقول السليمـة وتوجبـه الفطر المستقيمـة كما دل عليـه كتاب الله في غير موضع.

وهؤلاء لا يعنون هذا بل يوافقون ابن سينا وشيعته على سلب الصفات، ومن صح قصده فعليه أن يعبّر بالعبارة الشـرعية ويختـار الوصف الـذي اختاره الرب لنفسه والتعبير بالإسم الكريم المتناهي في التنزيه والتقـديس[1] المستلزم لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال.

قال الله تعالى: **﴿الحمد لله رب العالمين﴾**[2] وقال جلّ وعلاّ: **﴿الحمد لله الـذي خلق السموات والأرض وجعـل الظلمـات والنور ثم الـذين كفـروا بربهم يعدلون﴾**[3] وقال: **﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثني وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير﴾**[4] ونحو ذلك كثيرمما يدل على تعليق الحمد بهـذا الإسم الأقدس الموصوف بجميل الصفات والنعـوت وقد يعلق الحمـد بغيره سـواء كان جملة إسمية أو فعلية وما جاء في كتاب الله أكمل وأتم.

(قال الناقد رحمه الله تعالى):

(فصل رمي أهل التوحيد الذين أنكروا الاستغاثة بغير الله بالاعتزال).

(قال الناقد رحمه الله تعالى):

قـال المعترض: اعلم أن المنكـرين للاستمـداد من أهـل القبـور أهـل

(١) في الأصل (والقدس ـ ولعل الأنسب ما أثبتناه).
(٢) سورة الفاتحة، آية رقم ٢.
(٣) سورة الأنعام، آية رقم ١.
(٤) سورة فاطر، آية رقم ١.

الاعتزال مطلقاً وبعض الفقهاء من أهل السنة فيما عدا الأنبياء عليهم السلام وقد ظهرت طائفة أفرطوا في الإنكار فأردت أن أورد في هذه الأوراق شبهاتهم الدائرة على ألسنتهم مع الأجوبة وأورد أدلة لإثبات ما ينفونه (قال الشيخ عبد اللطيف رحمه الله) والجواب عن هذا أن يقال: هذا الكلام يشهد بجهالة قائله وضلاله وإفلاسه من العلم والهدى فإن هذه العبارة لا تصدر عمن عرف الإسلام والتوحيد ولا من عرف الاعتزال والسنة، وما يراد بهما عند أهل العلم، فإن الاستمداد من الأموات ودعاءهم هو طلب المدد بما شأنه أن يستمد ويطلب فيدخل تحت هذه العبارة كل مطلوب ومرغوب من أمر الدنيا والآخرة وهذا هو دين المشركين من الكتابيين والأميين، قال تعالى فيمن دعا الأنبياء والملائكة والصالحين واستمد منهم: ﴿**قل ادعو الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيّهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً**﴾[1].

قالت[2] طائفة[3] من السلف: نزلت هذه الآية فيمن يدعو الملائكة والمسيح وأمه وعزيراً وصالح الجن فأخبرهم تعالى أن هؤلاء المدعوّين عبيده كما أن الداعين لهم كذلك يرجون رحمته ويخافون عذابه، ومن كانت هذه حاله وهذا نعته فلا يدعي مع الله ولا يرجي من دونه لأن الدعاء هو العبادة

---

(١) سورة الإسراء آية ٥٦ ـ ٥٧.

(٢) في الأصل قال طائفة وأثبتناه (قالت طائفة) ولعل هذه الكلمة هي الفصحى حيث جاء نص القرآن بها.

(٣) وهذه الطائفة التي أشار إليها الشيخ رحمه الله ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وقتادة وهذا ما ذكره ابن كثير في تفسير، وأما الإمام البخاري رحمه الله تعالى فلم يذكر إلا صالح الجن حيث ساق الحديث بسنده إلى ابن مسعود حدثني عمرو بن علي: حدثنا يحيى: حدثنا سفيان: حدثني سليمان عن إبراهيم عن أبي معمر عن عبدالله: إلى ربهم الوسيلة قال: كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم، زاد الأشجعي عن سفيان عن الأعمش: (قل ادعو الذين زعمتم) أنظر صحيح البخاري م ٤ ص ١٧٤٧ رقم الحديث ٤٤٣٧.

وهي حق الله لا يليق صرفها لغيره لكمال غناه، وعلمه وقدسيته ورحمته وقيّوميته وانفراده بالتأثير والتدبير وقال تعالى: ﴿قل ادعو الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرّة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾[1].

(قال الشيخ رحمه الله تعالى): قال بعض السلف: هذه الآية تقطع عروق الشرك فإنه تعالى نفي عمن دعاه المشركون أن يكون له من الملك شيء ولو مثقال ذرّة ونفي مشاركته ولو قلت ونفى أن يكون له ظهير يعاونه ويؤازره لكمال غناه وعلمه ورحمته وعموم قيّوميته ثم نفي الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ففي هذا من صرف الوجوه إليه وترك التعلق على غيره[2] كائناً من كان ما لا يخفي على من عقل عن الله، وقال تعالى: ﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب﴾[3].
فذكر عجزهم عن خلق الذباب الذي هو من أضعف المخلوقات وأخبر أنه لو سلبهم شيئاً لما استطاعوا استنقاذه منه وهذا غاية في الحجة والبيان وتقرير ضعف من دعي مع الله ممن يستمد منه عبّاد القبور ومن يدعو الأموات لأن العجز عن خلق الذباب وصف مشترك بين جميع المخلوقات، فدلت هذه الآية الكريمة مع اختصار لفظها على إبطال دعوة كل مخلوق وقررت دليله بذكر العجز عن خلق الذباب واستنقاذ ما سلب فأي شيء يستمد ويطلب ممن هذا حاله؟، فالحمد لله الذي جعل كتابه تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة

---

(١) سورة سبأ، الآية ٢٢.
(٢) الأفصح تعدية هذا المصدر (التعلق) بالباء ولكنه يجوز أن ينوب حرف الجر بعضه عن بعض.
(٣) سورة الحج، الآية ٧٣.

وبشرى للمسلمين، وقال تعالى: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا﴾[1].

وطلب الاستمداد دعاء بإجماع أهل اللغة والمفسرين قال تعالى: ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية انه لا يحب المعتدين﴾[2] فأمر بدعائه وندب عباده إليه، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بين لعلهم يرشدون﴾[3]. ومن دعا الناس إلى الاستمداد من الأموات ودعائهم فقد شاق الله ورسوله وسعى في صرف الوجوه عن مسألة باريها وفاطرها إلى مسألة مخلوق ضعيف لا يملك ولا يستطيع لنفسه نفعاً ولا ضراً وكيف يجيز الاستمداد من الأموات؟[4] والرغبة إليهم من يؤمن بما أنزل الله من الكتاب والحكمة؟ قال تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾[5] قيل معناها: سلوني أعطكم، وقيل معناها: أعبدوني أثبكم، والقولان متلازمان لأن كل سائل عابد وكل عابد سائل، وقال تعالى: ﴿ والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير﴾[6] فنفي عنهم الملك لشيء وإن قل كالقطمير الذي هو قشر النواة، وذكر أنهم لا يسمعون دعاءهم[7] وأنهم لو سمعوا على سبيل الفرض والتقدير ما استجابوا لداعيهم، فأيّ استمداد يبقي بعد هذا لو كانوا

---

(١) سورة الجن، آية ١٨.

(٢) سورة الأعراف، آية ٥٥.

(٣) سورة البقرة، آية ٨١٨

(٤) وهذا المسلك الذي سلكه هذا الجاحد يعارض هذه الآية الكريمة: ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون﴾.

(٥) سورة غافر (المؤمن)، آية ٦٠.

(٦) سورة فاطر، آية ١٤.

(٧) في الأصل دعاءه ولعل الصواب ما أثبتناه

يعلمون؟ فكل من سمع هذا وله قلب يعقل به لا بد أن يعرف ويستيقن أن هذا غاية في البيان والكشف عن حال من استمد منه المشركون أو زعموا أن له تصرفاً أو شفاعة ترجي منه وتطلب. وقال تعالى: ﴿فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون﴾[1] فأمر عباده بإخلاص الدين له والدعاء. وطلب الاستمداد من أكبر أصول الدين، فمن صرفه لغيره تعالى فهو غير مخلص له الدين لأن الدعاء من أجلّ العبادات وأفضل الطاعات كما في حديث النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء هو العبادة»[2] وفي حديث أنس: (الدعاء[3] مخ العبادة) وكذلك قوله ﷺ: «الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين»[4]، وبهذا نعلم أن من أجاز صرفه للأموات فهو ممن يجيز دين المشركين وأن يعدل[5] بالله رب العالمين.

وذكر البخاري رحمه الله وغيره أن عمر رضي الله عنه استسقي بالعباس في خلافته ولم يستمد السقيا من رسول الله ﷺ وكلهم أقره ورضيه ومضت السنة على ذلك سلفاً وخلفاً ولم ينقل عن أحد ممن يعتد به عند المسلمين حرف واحد يدل على جواز الاستمداد من الأموات بل لما وقع بعد القرون المفضلة من العامة استمداد الأموات كفّرهم أهل العلم والإيمان وأنكروه أشد

---

(١) سورة غافر (المؤمن، آية ١٤.

(٢) رواه الأربعة وصححه الترمذي أنظر سبل السلام جـ ٤ ص ٢١٨.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) رواه الحاكم وصححه وتمامه (ونور السموات والأراضين).

(٥) ويشهد لما ذكره الشيخ رحمه الله في إبطال هذه الدعوى الفاسدة من الأدلة قوله تعالى: ﴿الحمد الله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ أي يسوّون معبوداتهم الباطلة بخالق السموات والأرض وفي معنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿إذ نسويكم برب العالمين وما أضلنا إلا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين﴾ فهذه أعظم شهادة ينالها أهل الحق في هدم أصول الشرك قال تعالى: ﴿قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون﴾ سورة الأنعام آية ١٩.

الإنكار وذكروا أنه فعل عابد الأصنام قال الإمام ابن عقيل[1] في (فنونه): لما صعبت التكاليف على الجهّال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها هم لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم وهم عندي كفار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وتخليقها وطلب الحوائج من الموتى، ودسّ الرقاع في القبور، فيها يا مولاي افعل بي كذا، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم ويتوكل عليهم كفر إجماعاً فحكى الإجماع على كفر من فعله.

وقال الإمام الحافظ بن عبد الهادي في ردّه على السبكي: قوله أي قول السبكي: المبالغة في تعظيمه أي تعظيم الرسول ﷺ واجبة - يريد بها المبالغة بحسب ما يراه كل أحد تعظيماً حتى الحج إلى قبره والسجود له والطواف به واعتقاد أنه يعلم الغيب وأنه يعطي ويمنع ويملك لمن استغاث به من دون الله الضر والنفع وأنه يقضي الحوائج للسائلين ويفرّج كربات المكروبين، وأنه يشفع فيمن يشاء، ويدخل من يشاء الجنة، فدعوى المبالغة في هذا التعظيم مبالغة في الشرك[2].

---

(١) هو أبو الوفاء ابن عقيل علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الفقيه الأصولي عالم العراق وشيخ الحنابلة في وقته من تلاميذه القاضي أبو يعلى صنّف كتاباً كبيراً في مائتي مجلد وسمّاه (كتاب الفنون) وكتاباً في الفقه سمّاه (الفصول) في عشر مجلدات وغير ذلك توفي سنة ٥١٣ ثلاث عشرة وخمسمائة من الهجرة النبوية. هـ حاشية كتاب الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٤٢.

(٢) وهو كذلك لأن الله تعالى لم يأمر عباده أن يستعيذوا ويستغيثوا بغيره ويلتجئوا إليه كائناً من كان وذم الذين استعاذوا بالجن قال تعالى: ﴿وانه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً﴾، بل أمرهم بالاستعاذة به والاستغاثة والالتجاء إليه قال تعالى: ﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ وقال: ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم﴾ وقال تعالى: ﴿قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق﴾ السورة. إلى غير ذلك من الآيات التي فيها قصر الاستعاذة والاستغاثة على الله وحده دون غيره لأن صرف ذلك لغيره شرك أكبر، والنبي ﷺ حمي جانب التوحيد حتى لا يلعب الشيطان بضعفاء الإيمان ويوقعهم في الشرك من حيث لا يشعرون وبيّن لأصحابه أنه لا

يغيث أحداً وإنما المغيث لكل مستغيث به هو الله وحده لا شريك له. قال تعالى: ﴿أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكرون﴾ سورة النمل آية ٦٢.

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال:

(كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين فقال بعضهم لبعض: قوموا بنا نستغيث برسول الله من هذا المنافق فقال النبي ﷺ إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله.

قال أهل العلم: فمراد الصحابة الاستغاثة به ﷺ فيما يقدر عليه بكفّ المنافق عن أذاهم بنحو ضربه أو زجره لا للاستغاثة به ﷺ فيما لا يقدر عليه.

والظاهر أن مراده ﷺ إرشادهم إلى التأدب مع الله في الألفاظ لأن استغاثتهم به ﷺ من المنافق من الأمور التي يقدر عليها يزجره أو ينهره ونحو ذلك. فظهر أن المراد بذلك الإرشاد إلى حسن اللفظ، والحماية منه لجناب التوحيد، وتعظيم الله تبارك وتعالى.

فإذا كان هذا كلامه ﷺ في الاستغاثة به فيما يقدر عليه فكيف بالاستغاثة به أو بغيره من الأمور المهمة التي لايقدر عليها إلا الله؟ كما هو جار على ألسنة كثير من الشعراء وغيرهم؟

ومن هنا يتضح لنا جلياً أن الاستغاثة بغير الله شرك بالله، بل هو أكبر أنواع الشرك لأن الدعاء مخ العبادة ولأن من خصائص الألوهية بإفراد الله بسؤال ذلك هـ من شرح كتاب التوحيد تيسير العزيز الحميد ص ٢٠٦.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن أكثر الناس الذين ابتلاهم الله بدعوة غيره من الموتى وغيرهم لا ترتاح ضمائرهم ولا تطمئن قلوبهم بالتوجه إلى الله في طلب قضاء حوائجهم وكشف مصائبهم ولا تنطلق ألسنتهم بنداء إسم من أسماء الله وخاصة القبوريين المعاصرين بخلاف المشركين الأقدمين، فإنهم يلجأون في حال الكرب إلى إخلاص الدعاء لله وحده لا شريك له، وقد حكى الله عنهم ذلك في غير ما آية قال تعالى: ﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا﴾ سورة الإسراء آية ٦٧، وقال تعالى: ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾ سورة العنكبوت آية ٦٥ - إلى غير ذلك من الآيات التي تدل على هذا المعنى.

وهذا من أعظم المعجزات التي أودعها الباري سبحانه وتعالى في كتابه العزيز حيث تحدث فيه عما أحدثه مشركو العصور المتأخرة، من إخلاص التوجه بدعائهم إلى غير الله في وقت البلاء والشدة رغم أن المشركين الذين عاشروا نزوله يخلصون الدعاء لله في طلب كشف ما ألمّ بهم من الكرب وإذا أنقذهم من تلك الكروب رجعوا إلى ما كانوا عليه من دعاء غيره معه، ومع ذلك فقد أوضح ما وقع فيه أهل العصر بعد قرون مديدة حيث أنهم إذا داهمهم

وانسلاخ من جملة الدين، وهذا اعتقاد عباد القبور فيمن هو دون الرسول ﷺ فضلاً عن الرسول، والأمر أعظم وأطم من ذلك.

وفي الفتاوى البزازية من كتب الحنفية قال علماؤنا من قال: أرواح المشايخ حاضرة تعلم يكفر، فإن أراد بالعلماء علماء الشريعة فهو حكاية للإجماع على كفر معتقد ذلك وإن أراد علماء الحنفية خاصة فهو حكاية لاتفاقهم.

وفي شروح الدر المختار الذي هو عمدة الحنفية في هذه الأعصار: التشنيع والتشديد فيما أحدثه العامة عند قبر أحمد البدوي[1] من التعظيم وطلب الحوائج وإرخاء الستور، وقال صنع الله الحلبي الحنفي في كتابه الذي ألّفه في الرد على من ادّعي أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات، ويستغاث بهم في الشدائد والبليات، وبهم تكشف المهمات، فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء حوائجهم[2] مستدلين على أن ذلك منهم كرامة، وقالوا:

بلاء وكرب ومصيبة لهجوا بنداء غير الله: يا سيدي فلان مدد ويا سيدي فلان أدركنا وينسون خالق سيدهم ورازقه ومدبر الأمور كاشف الضير وجالب الخير وعالم الغيب والشهادة، ولا شك أنه حجبهم وحالهم عن التلذذ بذكر اسم الباري سوء أعمالهم وخبث نواياهم، قال تعالى: ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون﴾ وقال جل وعلا: ﴿ذالكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير﴾.

ومن أغرب ما شاهدناه من الحقائق التي ذكرها القرآن حيال هذا المعنى الذي نحن بصدده - أننا ركبنا الباخرة مع جمع غفير أكثرهم من هذا النوع، ولما أبحرنا وسرنا شوطاً بعيداً عصفت ريح شديدة وتلاطمت الأمواج وأحدثت رجة عنيفة في الباخرة فإذا أهل كل بلد يصرخ بشيخه الذي يعبده فيه من دون الله وقلنا هذا غرابة الدين. وحاولنا أن نذكرهم بخالق السموات والأرض وقابلونا بالشتم والسب ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) هو أحمد بن علي بن إبراهيم الحسيني البدوي أبو البيان شهاب الدين أبو العباس صوفي ولد بفاس وطاف البلاد وأقام بمكة والمدينة ودخل مصر والشام والعراق وعظم شأنه في بلاد مصر وابتلى به الجهلة حتى عبدوه من دون الله وأشركوه بالله وأيقن أهل الإيمان أنه عبد من عباد الله ولد سنة ست وتسعين وخمسمائة الهجرية وتوفي سنة خمس وسبعين وستمائة ودفن في طنطا ١ هـ من معجم المؤلفين لعمر كحالة المجلد الأول ص ٣١٤.

(٢) في الأصل الحاجات أو كلاهما فصح.

منهم الأبدال ونقباء وأوتاد، ونجباء وسبعون وسبعة، وأربعون وأربعة، والقطب هـو الغوث للناس وعليه المـدار بلا التبـاس وجوّزوا لهم الـذبـح، والنـذور، وأثبتـوا فيهما الأجـور وقال: وهـذا الكلام فيـه تفريط وإفـراط بل فيـه الهلاك الأبـدي، والعذاب السـرمدي، لمـا فيـه من روائـج الشـرك المحقق ومضـادة الكتاب العزيز المصدق، ومخالف لعقائد الأئمة وما اجتمعت عليه الأمة.

وفي التنزيل: ﴿ومن يشـاقق الرسـول من بعد مـا تبين له الهـدى ويتبع غيـر سبيل المؤمنين نولّه مـا تولي ونصله جهنم وسـاءت مصيـراً﴾[1] إلى أن قال: (الفصل الأول فيما انتحلوه من الافك الوخيم، والشرك العظيم، إلى أن قال: فأما قولهم: (إن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات) فيرده قـوله تعالى: ﴿ أإله مـع الله قليلاً مـا تذكـرون﴾[2] وقولـه: ﴿ ألا له الخلق والأمـر تبـارك الله رب العـالمين﴾[3] ولله ملك السمـوات والأرض ونحـوه من الآيـات الدالة على أنه المنفرد بالخلق والتدبير والتصرف والتقـدير ولا شيء لغيـره في شيء بوجه من الوجوه فـالكل تحت ملكـه وقهره تصـرفاً وملكـاً وإحياء وإمـاتة وخلقاً وتمدح الرب بانفراده في ملكه بآيات من كتابه كقوله تعـالى: ﴿هل من خـالق غير الله يـرزقكم من السماء والأرض لا إلـه إلا هـو فـأنّي تؤفكـون﴾[4] ﴿والـذين تدعـون من دونه مـا يملكون من قـطمير﴾[5]، وذكـر أيات في هـذا المعنى ثم قال: فقوله تعالى في الآيات كلها: ﴿من دونه﴾ أي من غيره فـإنه عام يدخل فيه من اعتقـدته من ولي، وشيـطان تستمد. فـإن من لم يقدر على نصر نفسه كيف يمد غيره؟ إلى أن قال: فكيف يتصرف لغيره من لا يمكن أن يتصرف لنفسه؟ إن هـذا من السفاهـة لقول وخيم وشـرك عظيم إلى أن قـال: وأما القول: بالتصرف بعـد الممات فهو أشنع وأبدع من القول بالتصـرف في

(١) سورة النساء، آية ١١٥.
(٢) سورة النمل، آية ٦٢.
(٣) سورة الأعراف، آية ٥٤.
(٤) سورة فاطر، آية ٣.
(٥) سورة فاطر، آية ١٣.

الحياة، قال جل ذكره: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾[1] «وقال جل وعلا»: ﴿الله يتوفى الإنس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضي عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[2].

﴿كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾[3] - ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾[4] وفي الحديث: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»[5].

فجميع ذلك هو ونحوه دال على انقطاع الحس والحركة من الميّت، فإن أرواحهم ممسكة، وإن أعمالهم منقطعة عن زيادة ونقصان، فدل ذلك على أن ليس للميت تصرف في ذاته فضلاً عن غيره بحركة، وأن روحه محبوسة مرهونة بعملها من خير وشر فإذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف في غيره؟ فالله سبحانه يخبر أن الأرواح عنده وهؤلاء الملحدون يقولون إن الأرواح مطلقة متصرفة، ﴿قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون﴾[6] قال: وأما اعتقادهم أن هذه التصرفات لهم من الكرامات فهو من المغالطة لأن الكرامة شيء من عند الله يكرم بها أولياءه لا قصد لهم فيه ولا تحرّي ولا قدرة ولا علم، كما في قصة مريم بنت عمران، وأسيد بن حضير وأبي مسلم الخولاني[7].

---

(١) سورة الزمر، آية ٣٠.

(٢) سورة الزمر، آية ٤٢.

(٣) سورة آل عمران، آية ١٨٥.

(٤) سورة المدثر، آية ٣٨.

(٥) الحديث رواه مسلم من رواية أبي هريرة رضي الله عنه وعن جميع أصحاب رسول الله ﷺ.

(٦) سورة البقرة، آية ١٤٠.

(٧) وأما الكرامة الخارقة للعادة التي أجرى الله لمريم فهي ما قصت الآية الكريمة من أن الله ساق

قـال: (وأما قـولهم يستغاث بهم في الشـدائد، فهـذا أقبـح ممـا قبله، وأبـدع لمصادمـة قولـه جـل ذكـره: ﴿أمّن يجيب المضطر إذا دعـاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكرون﴾[1].

«وقال جل وعـلا»: ﴿قل من ينجيكم من ظلمـات البر والبحـر تدعـونه تضرعاً وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين﴾[2].

وذكر آيات في هذا المعنى ثم قال: فإنه جـل ذكره قـرر أنه الكاشف

= إليها رزقاً طعاماً وفاكهة لم تكن موجودة عند كفيلها الذي كفل لها بالانفاق عليها بالقرعـة كما ذكرت الآية قال تعالى: ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنّي لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حسـاب﴾ وقال تعـالى: ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيّهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون﴾ وكفيلها الذي تكفل لها هو زكريا الذي تحته خـالتها وأيضـاً الخوارق للعـادة التي أكرم الله بها مريم ما قصت الآية الكريمة في سورة مـريم من قولـه تعالى: ـ حيث كـانت في حيرة من أمرها كما حكى الله عنها: قالت: ﴿يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسيا﴾ فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليـك رطباً جنياً فكلي واشربي وقرّي عيناً فأما ترين من البشر أحداً فقولي اني نذرت للرحمن صومـاً فلن أكلم اليوم إنسياً الآيات.

وأما الخوارق للعـادة ـ الكرامـة ـ التي أكرم الله بهـا أسيد بن خضيـر فهو مـا جاء في الحـديث الصحيـح أن أسيد بن حضيـر وعبـاد بن بشـر كـانـا عنـد النبي ﷺ ذات ليلة فلمـا خـرجـا من عنده ﷺ في ليلة مظلمة كان مع كل واحد منهما مثل المصباحين بين أيديهما فلما افترقا صار مع كل واحـد منهما نـور يضيئه في طـريقه إلى بيتـه، ولا شك أن مـا جرى لهمـا كرامـة من كرامات الأولياء الذين ذكرهم الله في كتابه حيث قال: ﴿ألا إن أوليـاء الله لا خوف عليهم ولا هم يحـزنون﴾ الآيـات من سورة يـونس، وعن أنس رضي الله عنه أن رجلين مـن أصحـاب النبي ﷺ خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة ومعهما مثـل المصباحين بين أيـديهما فلمـا افترقا صار مع كل واحد منهم واحد حتى أتى أهله رواه البخاري وفي روايـة له: أن الـرجلين أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضي الله عنهما.

وأما ما ذكره لأبي مسلم الخولاني من الخارق للعادة فهو ما جـرى له مع الأسود العنسى حيث ألقاه الأسود العنسى في لهيب النار فأنجـاه الله منها وخـرج منها ولم يمسـه شيء وهؤلاء كلهم لم يعلموا ما أكرمهم الله به إلا بعد أن حقق الله لهم ذلك إكراماً لهم على قوة إيمانهم.

(١) سورة النمل، آية ٦١.

(٢) سورة الأنعام، آية ٦٣.

للضر لا غيره وأنه المتعين لكشف الشدائد والكرب، وأنه المنفرد بإجابة المضطرين، وأنه المستغاث لذلك كله، وأنه القادر على دفع الضر والقادر على إيصال الخير فهو المنفرد بذلك فإذا تعين هو جل ذكره خرج غيره من ملك ونبي وولي، قال: والاستغاثة تجوز في الأسباب الظاهرة العادية من الأمور الحسّية في قتال أو إدراك عدو أو سبع ونحوه كقولهم يا لزيد ويا لقوم للمسلمين[1]، كما ذكروا ذلك في كتب النحو بحسب الأسباب الظاهرة بالفعل، وأما الاستغاثة بالقوة والتأثير أو في الأمور المعنوية من الشدائد كالمرض وخوف الغرق والضيق والفقر وطلب الرزق ونحوه فمن خصائص الله فلا يطلب فيها غيره.

قال: وأما كونهم معتقدين التأثير منهم في قضاء حاجاتهم كما تفعله جاهلية العرب والصوفية الجهّال وينادونهم ويستنجدون بهم فهذا من المنكرات إلى أن قال: فمن اعتقد أن لغير الله من نبي أو ولي أو روح أو غير ذلك في كشف كربة وقضاء حاجة تأثيراً فقد وقع في وادي جهل خطير فهو على شفا حفرة من السعير.

وأما كونهم مستدلين على أن ذلك منهم كرامات فحاشا لله أن يكون أولياء الله بهذه المثابة فهذا ظنّ أهل الأوثان كذلك أخبر الرحمن: ﴿هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما يعلم لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾[1].

وقال أيضاً: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم

---

(١) في الأصل: يا لزيد يا لقوم يا للمسلمين، وهذه العبارة غير فصيحة عند النحاة حيث أنه أدخل على المستغاث له ياء النداء والمشهور دخولها على المستغاث به أو المعطوف عليه لا المستغاث له وكذلك المعطوف على المستغاث به بواسطة حرف العطف وقد حذفها رحمه الله حيث قال: يا لزيد يا لقوم إلخ ويجوز أن تكون فصيحة أن أراد بالكلمات الثلاث المستغاث به وحذف المستغاث له في الجميع والتقدير يا لزيد لبكر يا لقوم لخالد ويا للمسلمين للضعفاء ولكن ذكر المستغاث به مع حذف المستغاث له لم يكن مشهوراً واعتقد أن هذا من الناسخ.

(٢) سورة يونس، آية ١٨.

في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾[1].

﴿أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عنّي شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون﴾[2]. فإن ذكر ما ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر من نبي وولي وغيره على وجه الإمداد منه إشراك مع الله، إذ لا قادر على الدفع غيره ولا خير إلا خيره. قال: وأما ما قالوه: من أن منهم أبدالا ونقباء وأوتاداً ونجباء وسبعين وسبعة وأربعين وأربعة، والقطب هو الغوث للناس فهذا من موضوعات إفكهم كما ذكره القاضي المحدث ابن العربي في سراج المريدين، وابن الجوزي، وابن تيمية انتهى باختصار.

ومثل هذا يوجد في كلام غيرهم من العلماء، والمقصود أن أهل العلم ما زالوا ينكرون هذه الأمور ويبيّنون أنها شرك، وإن كان بعض المتأخرين ممن ينتسب إلى العلم والدين ممن أصيب في عقله ودينه قد يرخّص في بعض هذه الأمور وهو مخطيء في ذلك. ضال مخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع المسلمين فكل واحد مأخوذ من قوله ومتروك إلا قول ربنا وقول رسوله ﷺ فإن ذلك لا يتطرق إليه الخطأ بحال، بل واجب على الخلق إتباعه في كل زمان، على أنه لو أجمع المتأخرون على جواز هذا لم يعتد بإجماعهم المخالف لكلام الله، وكلام رسوله في محل النزاع لأنه إجماع غير معصوم، بل هو من زلة العالم التي حذرنا من اتباعها.

وأما الإجماع المعصوم فهو إجماع الصحابة والتابعين وما وافقه وهو السواد الأعظم الذي ورد الحث على اتباعه وإن لم يكن عليه إلا الغرباء الذين أخبر بهم رسول الله ﷺ في قوله: «**بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدا فطوبى للغرباء**» رواه مسلم. لا ما كان عليه العوام والطغام، والخلف المتأخرون الذين يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون.

---

(١) سورة الزمر، آية ٣ وأول الآية ﴿ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ الآية.

(٢) سورة يس، آية ٢٣.



تنبيه

اعلم أن المشركين الأولين لا يقولون بجواز الاستمداد في كل شيء، وكل مطلوب كما تقتضيه عبارة هذا المعترض لأن الله تعالى حكي عنهم في كتابه أنهم يخلصون الدعاء والطلب في الشدة، والضراء كما قال تعالى: ﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا﴾[1] وقال: ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾[2].

وبهذا نعلم أن قول هذا المعترض شرّ من قول المشركين الأولين والله تعالى المستعان وسيأتي مزيد لهذا عند الكلام على مسألة التصرف إن شاء الله تعالى، وقوله إن المنكرين للاستمداد مطلقاً معتزلة ومن قصره على الأنبياء ليس معتزلياً، وأظنه سمع إنكار المعتزلة للكرامات وإثبات بعضهم المعجزات فقط فظن أن هذه هي مسألة الاستمداد. وهذا جهل عظيم وخلط وخيم، بل مسألة الاستمداد من الأموات نوع من الشرك الأكبر الذي لا يغفر ولم يجزه أحد ممن ينتسب إلى الإسلام لا المعتزلة ولا غيرهم بل كلهم مجمعون على تكفير من فعله كما تقدمت حكاية الإجماع عن شيخ الإسلام

---

(١) سورة الإسراء، آية ٦٧.

(٢) سورة العنكبوت، آية ٦٥.

وليس هـذا من المسائـل التي تختلف فيها الأمـة سنيهم وبدعيهم بـل هذه من أكبر دعائم الملة وأعظم أركان الإسلام لا يخالف فيهـا من عرف الإسـلام وما جـاءت به الـرسل الكـرام ولكن الـرجـل غلبت عليـه العجمـة فلم يفـرق بين الاعتـزال وبين الشرك الـذي هو الاستمـداد من غير الله، قـال الحسن رحمـه الله: دهمتهم العجمة[1]، وقال أبو عمر وابن العلاء لعمرو بن عبيـد: لما قـال لـه: إن الله لا يخلف وعده قـال له: من العجمـة أتيت ان هذا وعيـد لا وعد وأنشده:

وإنــي وإن أوعــدتــه أو وعــدتــه لمخلف إيعــادي ومنجـز مــوعـدي

قـال المعتـرض: (الشبهـة الأولى أن المـوتى لا سمـاع لهم). لقـولــه تعالى: ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾[2] وقـوله تعـالى: ﴿إنك لا تسمـع

---

(١) أي أصـابتهم مصيبة العجمـة التي هي عدم فهم الحق عن الله ورسـوله وليس المـراد أن كون الشخص أعجمياً يعيبه ويذم له وذلك أن العبرة العلم النافع والعمل الصالح والسيرة الحسنة. إذ الفضل الحقيقي: هو اتباع ما بعث الله به محمداً ﷺ من الإيمان والعلم باطناً وظاهراً فكل من كان في ذلك أمكن كان أفضل. والفضل إنما هـو بالأسمـاء المحمودة في الكتـاب والسنة مثل الإسلام والإيمان والبر والتقوى والعلم والعمل الصالح والإحسان لا بمجرد كـون الإنسان عربياً أو أعجمياً أو أسود أو أبيض ولا بكونه قروياً أو بدوياً ويشهـد لذلـك خيـر الشاهـدين حيث يقول: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبـائل لتعـارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾، ويشهـد أيضاً لـذلك قـول رسولـه الأمين ﷺ في الحديث الصحيح: «إن الله قد أذهب عنكم عبِّية الجاهلية وفخرها بالأباء: مؤمن تقي وفـاجر شقي أنتم بنـو آدم وآدم من تراب» وفي الصحيحين عن عمـرو بن العـاص رضي الله عنـه أن رسول الله ﷺ قال: «إن بني فلان ليسوا لي بأولياء إنما وليي الله وصالحو المؤمنين فأخبر ﷺ عن بطن قريب النسب أنهم ليسوا بمجرد النسب أولياء، إنما وليه الله وصالحـو المؤمنين من جميع الأصناف» ١ هـ أنـظر كتـاب «اقتضـاء الصـراط المستقيم» لشيـخ الإسـلام ابن تيميـة ص ١٤٤.

ومن هنا نعرف تماماً أن قول الشيخ رحمه الله تعالى أنه غلبت عليه العجمة حيث لم يفرق بين الاعتزال والشرك مراده بذلك أنه ابتعـد عن الجادة وأخـطأ الصواب عنـاداً لغلبة نفسـه الأمـارة بالسوء ودفعها إياه إلى نصر الباطل والشرك ضد الحق والتوحيد والله أعلم.

(٢) سورة فاطر، آية ٢٢.

الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين﴾[1].

وإذ لا سماع لهم فلا استمداد، وهكذا نقل المعترض ثم قال: وأجيب على أن الآيتين لا تدلان على نفي السماع من الأموات لأن مبناهما على التشبيه والتمثيل والمراد هنا الكفار حقيقة، ووجه الشبه عدم الانتفاع بالسماع، وعدم الإجابة، فكما أن الأموات لا ينتفعون بسماع ولا يجيبون كذلك الكفار لا ينتفعون بسماع الموعظة، ولا يجيبون للحق فيتبعونه فكأنهم أموات، قال صاحب معالم التنزيل[2] في تفسير قوله تعالى: ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ أي الكفار، وقال القاضي في تفسيره في سورة النمل: وإنما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم لما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم في قوله تعالى: ﴿ولا تسمع الصم الدعاء﴾ فإن إسماعهم في هذا الحال أبعد.

ثم ساق حديث قتادة في سماع أهل القليب، وحديثاً في سماع الميّت كقرع النعال وحديث بريدة، وحديث ابن عباس في التسليم على الموتى. وأطال الكلام بما لا طائل تحته، وكلامه يدل على عدم علم قائله وعدم شعوره بأدلة خصمه، فإن نفي الاستمداد من الموتى ودعائهم عليه من الأدلة ما لا يمكن حصره ولا استقصاؤه.

وعبارته التي ساقها في نفي انتقاع الموتى بالسماع، وبما يتلى عليهم

---

(١) سورة النمل، آية ٨٠.

(٢) وصاحب معالم التنزيل هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفرّاء البغوي الفقيه الشافعي المحدث المفسر الملقب بمحيي السنة وركن الدين تفقه البغوي على القاضي حسين، وسمع الحديث منه وكان تقياً ورعاً زاهدا قانعاً إذا ألقى الدرس لا يلقيه إلا على طهارة توفي رحمه الله سنة عشر وخمسمائة من الهجرة النبوية وقد جاوز الثمانين ودفن عند شيخه القاضي حسين، كان اليغوي إماماً في التفسير والحديث والفقه وعده التاج السبكي من علماء الشافعية الأعلام فمن تصانيفه معالم التنزيل في التفسير وشرح السنة في الحديث والمصابيح في الحديث أيضاً والجمع بين الصحيحين، والتهذيب وغير ذلك وبورك له في تصانيفه ورزق فيها القبول لحسن نيته، أنظر طبقات المفسرين للسيوطي ص ١٣ ووفيات الأعيان جـ ١ ص ١٤٥ ـ ١٤٦ والطبقات الكبرى لابن السبكي جـ ٤ ص ٢١٤ ـ ٢١٥.

كافية في إبطال الاستمداد من الموتى، وطلبهم، والاستعانة بهم، وهذا والله أعلم هو مراد من نفي السماع عنهم ممن حكي قولهم الفارسي وتصدى للرد عليهم، ولا نعلم قائلاً ينفي سماع الموتى إلا بهذا المعنى. وما حكي عن أم المؤمنين في إنكار السماع ثبت رجوعها عنه لما بلغتها الأحاديث المثبتة فإذا عرفت أن نفي السماع يطلق على من لم ينتفع ولا يجيب وعرفت أن هذا هو الوجه في تشبيه من لم ينتفع بسماع آيات الله من الكفار والفسّاق بالموتى عرفت حينئذ وتبين لك أن عدم انتفاع الأموات بالسماع من أوضح الحجج والبيّنات على أن الميت لا يدعي ولا يستمد منه لأنه إذا ثبت أنه لا ينتفع وأنه هو المشبه به بطل استمداده، واستحالت إجابته.

وفي الحديث الصحيح: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[1].

فإذا انقطع عمله وكسبه لنفسه وعجز عن ذلك، وحيل بينه وبينه فكيف يمد غيره؟ ويتصرف في شيء من ملك الله: ﴿سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون قل إن الذين يفترون على الله لا يفلحون، متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون﴾[2].

واعلم أن مسألة السماع فيها كلام للمحققين لا يحيط به علماً إلا من فقه عن الله قلبه ودق في باب العلم نظره، وفهمه، وأما غليظ الطبع، قليل العلم باللسان فهو بعيد عن إدراك هذا الشأن، فتأمل قوله تعالى: ﴿والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير﴾[3].

---

(١) رواه مسلم بن الحجاج من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سورة يونس، آية ٦٨ - ٧٠.

(٣) سورة فاطر، آية ١٣ ١٤.

فإن هذا فيه دعوى نفي الإجابة فقط مع بقاء أصل السماع لئلا يتحد فعل الشرط وجوابه، والأظهر أن سماع الميت مقيد بحال دون حال لا في جميع حالاته كما يشير إليه قول قتادة من أهل القليب، وحال الأموات يختلف اختلافاً كبيراً[1].

وللأرواح بعد مفارقة هذا الجسم شأن لا يحيط بتفصيله إلا الله تعالى، وأيضاً فالفرق بين القرب والبعد ثابت عند الأئمة[2] القائلين بسماع الموتى، ومن زعم أن الاستمداد منهم جائز لا يفرق بين القريب والبعيد كما هو مشاهد ممن يدعو الأنبياء والصالحين ويستمد منهم، وأفضل الخلق ﷺ قد ثبت أنه يبلّغ صلاة أمته مع البعد عن قبره ولا يسمعه فكيف بغيره؟ والاستمداد من الأموات هو أصل شرك العالم وضلالهم[3] كما ذكر غير واحد في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً** ﴾[4].

فإن هذه أسماء رجال صالحين كانوا في قوم نوح فماتوا فعكفوا على قبورهم وصوّروا تماثيلهم بقصد التشويق إلى العبادة ومحبة الصالحين فلما مات أولئك ونسي العلم قال من بعدهم إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم.

وهو كما ترى صريحاً[5] في أنهم عبدوا لأجل الاستمداد واستسقاء

---

(١) في الأصل عظيماً ولعل الأفصح منه ما سجلناه.
(٢) في الأصل عند الأمة ورأينا أن الأنسب ما أثبتناه.
(٣) سورة نوح، آية ٢٣.
(٤) إعادة الضمير إلى العالم بالجمع باعتبار المعنى وأما باعتبار اللفظ فيجب عود الضمير عليه بالأفراد حيث أنه مفرد.
(٥) والصواب رفع صريحاً حيث أنه خبر المبتدأ الذي هو لفظ (وهو) وعائد ما محذوف من قوله كما ترى والجملة من الفعل والفاعل صلة الموصول لا محل لها من الأعراب الجار والمجرور متعلق بصريح والله أعلم بالصواب.

المطر، وذكر أبو الجوزاء عن ابن عباس[1] في قوله تعالى: ﴿أفرأيتم اللات والعزّى﴾ قال كان اللات رجلاً يلّت السويق للحجاج فمات فعكفوا على قبره انتهى، ولم يقصد هؤلاء سوى الاستمداد بالموتى والصالحين، وطلب جاههم وشفاعتهم، ولولا ذلك لم تعبد وهذا مطلوب كل مشرك كما قال الفارابي وابن سينا وغيرهما من أكابر المشركين: إن الميت المقرب يفيض على روحه إفاضات فإذا علق الزائر قلبه وهمته به فاض على روح الزائرين من روح المزورين تلك الإفاضات كما ينعكس النور والشعاع من الجسم الصافي في المقابل، وهذا محض الشرك والكفر فإن تعليق القلب والهمة بغير الله والإقبال على سواه تعالى هو عين الشرك الأكبر الذي أنكره القرآن وكفر أهله وأباح دماءهم وأموالهم لأهل التوحيد والإيمان قال تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب﴾[2] وقال تعالى: ﴿ وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون﴾[3]، وقال عن شعيب: ﴿ عليه توكلت وإليه أنيب﴾[4].

والفارابي[5] وابن سينا من عبّاد الكواكب ومن الدعاة إلى دين الصابئة المشركين الذين بعث فيهم إبراهيم الخليل كما يعرف ذلك من وقف على كلامه.

---

(١) في الأصل: وذكر أبو الجوزي والصحيح ما أثبتناه وذلك أن البخاري ذكر هذا الأثر بسنده إلى ابن عباس في تفسير هذه الآية من سورة النجم ومن هنا يتبين أن ما في الأصل خطأ من الناسخ وإليك السند بتمامه. حدثنا مسلم بن إبراهيم: حدثنا أبو الأشهب حدثنا أبو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: (واللات والعزى) كان اللات رجلاً يلت سويق الحاج م جـ ٤ ص ١٨٤١.

(٢) سورة البقرة، آية ١٦٥.

(٣) سورة الزمر، آية ٥٤.

(٤) سورة هود، آية ٨٨.

(٥) الفارابي نسبة إلى فارب من بلاد الترك وكنيته أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان.

تتمة

ما تقدم لك من حكاية قول المشركين واستمدادهم بالموتى والصالحين أخف ضرراً وأقل كفراً ممن قال: يستمد من الأولياء والصالحين كما زعمه الفارسي فإن هذا شرك في الربوبية والتدبير وذاك شرك في الالهية والعبادة فلا تغفل عن غليظ شركهم وعظيم إفكهم.

فصل

قال الفارسي: الشبهة الثانية أن الموتى لا علم لهم بأحوالنا لأن العلم بالغيب مختص به تعالى ليس لغيره لقوله تعالى: **﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾**[1] وقوله تعالى: **﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إليّ قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون﴾**[2] وقوله تعالى: **﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيّان يبعثون﴾**[3]، وقوله تعالى: **﴿ولو كنت أعلم الغيب**

ابن أوزلغ الفارابي التركي الحكيم المشهور الملقب بالمعلم الثاني أكبر فلاسفة المسلمين صاحب التصانيف في الحكمة والمنطق والموسيقى، أخذ المنطق عن ابن بشرمتي بن يونس الحكيم ببغداد ثم ارتحل إلى مدينة حران وفيها يوحنا بن حيلان الحكيم النصراني فأخذ عنه طرفاً من المنطق أيضاً توفي بدمشق سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ٣٣٩ هـ أنظر كتاب الرد وابن سينا هو علي ابن عبدالله بن الحسين بن علي بن سينا البخاري شيخ الفلاسفة صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والإلهيات توفي سنة ٤٣٨ هـ صنف نحو مائة كتاب منها الشفاء في الحكمة أربعة مجلدات وقد طبع منه الفن الأول من الطبيعيات والفن الثالث عشر من الإلهيات بطهران سنة ثلاث وثلاثمائة وألف الهجرية انظر كتاب الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(١) سورة الأنعام، آية ٥٠.

(٢) سورة الأنعام، آية ٥٠

(٣) سورة النمل، آية ٦٥.

لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾[1] إلى غير ذلك من الآيات مما يدل على نفي الغيب عما سواه تعالى. وإذا كان كذلك فكيف يستمد مما لا علم له بأحوالنا خصوصاً بعد الموت؟ «قال الشيخ المحقق عبد اللطيف».

قال المعترض: وأجيب بأنها إنما تدل على ثبوت العلم بالغيب له تعالى لذاته بذاته بمعنى أنه لا يحصل له من غيره ولا تدل على نفيه من عباده مطلقاً بل يجوز أن يحصل لهم مستفاداً من الله بأن يخلقه الله فيهم بلا سبب أو بالأسباب الخفية كالوحي والإلهام والرؤيا الصالحة والمشاهدة الحقة كما يدل عليه الاستثناء في قوله تعالى: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيّه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدًا ﴾[3] قال القاضي في تفسيره[4] الأول إلا بما شاء أن يعلم وقال في تفسيره الثاني[4] من رسول بيان لمن، قال: واستدل به على إبطال الكرامات وجوابه تخصيص الرسول بالملك والإظهار بما يكون بغير واسطة، وكرامات الأولياء باطلاعهم على المغيبات إنما يكون تلقياً من الملائكة كاطلاعنا على أحوال الآخرة بواسطة الأنبياء عليهم السلام انتهى.

ثم ساق الفارسي ما جاء في مناقب عمر رضي الله عنه أنه رأى سارية من مسافة بعيدة لا يرى ولا يسمع من مثلها في العادة فناداه يا سارية الجبل، ثم قال: إذا علمت أن العلم[5] بالمغيبات قد يحصل لعباد الله الصالحين

---

(١) سورة الأعراف، آية ١٨٨ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٥ .

(٣) سورة الجن، آية ٢٦ ـ ٢٧ .

(٤) المراد بقوله في تفسيره الأول أي الاستثناء الأول وهو (إلا بما شاء)، وبقوله في تفسيره الثاني أي الاستثناء الثاني وهو (إلا من ارتضى من رسول).

(٥) في الأصل على المغيبات ورأينا أن الأنسب بالمقام الباء فأثبتناه والله.

بإعطائه إياهم، والعلم صفة للنفس ينعم الله تعالى عليهم بها وهي باقية بعد مفارقة البدن فيجوز أن يكون حاصلاً لهم بعدها على وجه أتم وأكمل لأنها بعد المفارقة تتخلص عن الكدورات البدنية وتنقشع عنهما الظلمات الجسمية، **﴿وذلك أن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم﴾**[1].

فكيف بقوم يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم حتى اشتعلت في قلوبهم من كثرة الذكر نار الشوق والمحبة واشتد حبهم يوماً فيوماً فزادوا حباً على حبهم وشوقاً على شوقهم فيصيروا فانين في الله باقين به فبالله يسمعون وبه يبصرون وبه يبطشون ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وإذا كان حالهم في الحياة كما ذكرنا فأيّ سبب حدث وأزال عنهم كرامتهم؟، قال الله تعالى: **﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾**[2] أي الذين يتولونه بالطاعة، ويتولاهم بالكرامة لا يلحقهم مكروه ولا يفوتهم مأمول، هكذا فسّره القاضي في تفسيره ثم ساق الفارسي آثاراً تروي منها حديث أنس في عرض أعمال الأحياء على أقاربهم وعشائرهم من الموتى، وحديث أبي أيوب، وحديث جابر، وحديث النعمان.

والمعنى متقارب، ثم ذكر عن المشكاة: إذا قال العبد: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أصاب كل عبد صالح في السماء والأرض، ثم قال ملا قاري[3] في المرقاة في شرح قوله ﷺ: «**ولا تجعلوا قبري عيداً فإن**

---

(١) سورة الأنفال آية ٥٣ وهي من قبيل الاقتباس.

(٢) سورة يونس، آية ٦٢.

(٣) الملا علي القاري: هو علي بن محمد بن سلطان وقيل علي بن سلطان الهروي المعروف بالقاري نور الدين فقيه حنفي من صدور العلم في عصره ولد في هراة وسكن مكة المكرمة وتوفي بها وله كتب كثيرة في القراءات السبع، وشرح المقدمة الجزرية في التجويد، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح في الحديث الشريف الذي جاء ذكره في هذه الرسالة وشرح

صلاتكم تبلغني حيث كنتم» إنه قال القاضي: وذلك أن النفوس الزاكية القدسية إذا تجردت عن العلائق البدنية عرجت واتصلت بالملأ الأعلى ولم يبق لها حجاب فترى الكل كالمشاهدة بنفسها أو إخبار الملك من السر له وأيضاً قال في المرقاة في شرح حديث: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا عليّ فيه من الصلاة فإن صلاتكم معروضة عليّ»: يعني على وجه القبول فيه وإلا فهي دائماً تعرض عليه بواسطة الملائكة إلا عند روضته فيسمعها بحضرته ثم قال في شرح آخر الحديث: وأما على ما قدمه الطيبي فإنما يفيد حصر العرض والسماع بعد الموت بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام وليس الأمر كذلك فإن سائر الأموات أيضاً يسمعون السلام والكلام وتعرض عليهم أعمال أقاربهم في بعض الأيام انتهى المقصود من كلامه «قال المدرك رحمه الله»:

والجواب ـ وبالله التوفيق ـ أن يقال: هذه المسألة بيّنها الله تعالى في كتابه بياناً شافياً بنصوص صريحة لا تحتمل التأويل ولا تقبل التحريف والتبديل، وتأويل هذا الفارسي لتلك النصوص من جنس تأويل الجهمية لآيات الصفات وأحاديثها، ومن جنس تحريف القرامطة والباطنية لآيات الأمر والنهي والوعد والوعيد ومتى سلط التأويل على أديان الرسل وما جاؤوا به من عند الله لم يبق شيء منها فنعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن الضلال بعد الهدى ومن الغي بعد الرشاد قال تعالى:

﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾ الآية، وقال «جل وعلا»: ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب﴾ الآية[2]، وقال «سبحانه»: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾

الشفاء للقاضي عياض وكلها مطبوعة توفي رحمه الله تعالى سنة أربع عشرة وألف من الهجرة النبوية ١٠١٤ هـ أنظر الأعلام للزوكلي جـ ٥ ص ١٦٦.

(١) سورة الأنعام، آية ٥٩.

(٢) سورة الأنعام، آية ٥٠.

الآية[1] وقال لنبيه: ﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾[2]. وقال: ﴿ولله غيب السموات والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير﴾[3] وقال «جل وعلا»: ﴿ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون﴾[4] وقال: ﴿سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علّام الغيوب﴾[5] وقال «تعالى»: ﴿ألم تعلم أن الله يعلم ما في السموات والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير﴾[6].

فمدح الله تعالى نفسه وأثنى عليها بانفراده واختصاصه بعلم الغيب دون خلقه فإن كمال العلم وإحاطته بجميع المعلومات كلياتها وجزئياتها وصف كمال استحق به تعالى أن يطاع ويتقي ويرجى ويعبد.

وعلم الخلائق أجمعين بالنسبة إلى علمه تعالى كنسبة ما يأخذه العصفور في منقاره من البحار كما في قصة موسى والخضر أنهما لما ركبا في السفينة جاء عصفور فنقر في البحر فقال الخضر: ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كما ينقص هذا العصفور من البحر فمن تقرر هذا لديه وآمن بما دل عليه لم يلتفت إلى تحريف معطل ولا إلى رأي مجادل مبطل.

فقول هذا الفارسي وأمثاله إنها إنما تدل على ثبوت العلم بالغيب له تعالى لذاته بذاته بمعنى أنه لا يحصل له من غيره ولا تدل على نفيه من عباده

---

(١) سورة النمل، آية ٦٥.
(٢) سورة الأعراف، آية ١٨٨.
(٣) سورة النحل، آية ٧٧.
(٤) سورة هود، آية ١٢٣.
(٥) سورة المائدة، آية ١١٦.
(٦) سورة الحج، آية ٧٠.

مطلقاً قول باطل وتحريف عاطل فإن بعض هذه الآيات صريحة في النفي عن غيره تعالى وإثبات ذلك له تعالى فدلت على أمرين نفي وإثبات وحق وعدل كما دلت عليه كلمة الإخلاص ومن قال: إن المعنى أنه يعلم بنفسه وليس في ذلك نفي عمن سواه تعالى فهو كمن يقول: إن لا إله إلا الله دلت على إثبات الهيته وليس فيها نفي لإلهية غيره تعالى الله عن قول هؤلاء علواً كبيراً، وهذا التحريف من وحي الشيطان الذي قصد به رد ما جاء به كتاب الله وسنة رسوله، ومن دان به فقد انسلخ من الإسلام ـ والعياذ بالله ـ ولا يمر على سمع الموحد اسمج من هذا التحريف وأشنع منه.

ومن الذي ادعى أن علمه تعالى حاصل له من غيره؟ حتى يقصد رد قوله بهذه الآيات؟ هذا لا يقوله أحد ممن أثبت للعالم صانعاً مدبراً وأين قوله تعالى: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾[1] من هذا المعنى الذي أورده الفارسي؟ فإن صريح الآية نفي علم مفاتح الغيب عن غيره وكذلك قوله تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾[2] فيه نفي علمه عن كل من في السموات والأرض الغيب إلا الله تعالى. وهي صريحة في النفي عن غيره كالتي قبلها فكلاهما دل على معنيين: ثبوت علمه بذاته ونفي ذلك عمن سواه، وأبطل شيء قول الفارسي بأنها لا تدل على نفيه عن عباده وكذلك قوله لنبيه: ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب﴾[3] الآية صريح في نفي علم الغيب عن سيد ولد آدم فضلاً عن غيره وكذلك قوله تعالى: ﴿ ولله غيب السموات والأرض﴾ تقدم الجار والمجرور يفيد الحصر والاختصاص فعلم الغيب له لا لسواه.

وقوله تعالى: ﴿ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير﴾[1] هذا يفيد اختصاصه تعالى وانفراده بعلم الغيب لأن السياق لبيان الكمال والمدح والثناء على نفسه تعالى ولو ثبت ذلك

(١) سورة الأنعام، آية ٥٩.

(٢) سورة النمل، آية ٦٥.

(٣) سورة الأنعام، آية ٥٠.

لغيره لفات المقصود من السياق وكذلك قول المسيح يشير إلى هذا كما يدل عليه إقحام[2] الضمير بين خبر إن واسمها وكما يفيده التأكيد بإن.

وفي الخبر عن جويرية رضي الله عنها: تغنت بقولها ـ والصحيح أنها لم تغن ولكن جاريتين تغنّتا عندها كما في صحيح البخاري ـ: «**وفينا رسول الله يعلم مافي غد فسمعها رسول الله ﷺ فقال لها: دعي هذا وقولي غيره**» وفي حديث عمر في سؤال جبريل[3] عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة أن النبي ﷺ قال له في خمس لا يعلمهن إلا الله وتلا قوله تعالى: **﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾**[4].

---

(١) سورة الحج، آية ٧٠.

(٢) وقد اجتمع في هذه الآية الكريمة وهي قوله تعالى: ﴿سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس..﴾ الآية هامش رقم٥ ص٧٥ ما يؤكد المعنى الذي أراد الشيخ عبداللطيف أن يقرر بما لا يدع مجالاً للشك لأي عاقل وهي إن المؤكدة وإقحام ضمير الرفع وكون خبر أن أمثلة مبالغة وهو علام ولا يشك مؤمن في صدق هذا الناقد حيث وضع أمامه هذه الأدلة القاطعة ولكن مطموس القلب متى يتسنى له ذلك ونعوذ بالله من عمى القلب والبصيرة (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور).

وتوضيح هذه العبارة أنه توسط ضمير الرفع المنفصل أنت بين اسم إن (الكاف) من أنك وبين الخبر الذي هو علاّم وهذه الأساليب كلها أساليب التوكيد كما قال ابن مالك في الفتية:
ومضمر الرفع الذي قد انفصل. . أكّد به كل ضمير اتصل.

(٣) سورة لقمان، آية ٣٤.

(٤) وحديث جبريل رواه البخاري في باب الإيمان ورواه مسلم أيضاً في باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان رقم ٩ و١٠ و٨ ولفظ البخاري بسنده: حدثنا مسدد قال: حدثنا اسماعيل بن إبراهيم أخبرنا أبو حيان التيمي عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال: كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس فأتاه جبريل فقال ما الإيمان قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث قال: ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال: ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال متى الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل وسأخبرك عن أشراطها إذا ولدت الأمة ربتها وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان في خمس الخ انظر البخاري جـ١ ص ٢٧ حديث ٥٠.

(٤) وظاهر.

وقالت عائشة رضي الله عنها: (من زعم أن محمد رآى ربه فقد كذب ومن زعم أن أحداً يعلم الغيب فقد كذب)[1] وما دلت عليه الآيات من الاستثناء في بعضها ـ كقوله تعالى: ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ وقوله «جلت قدرته»: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾ الآية ـ فهذا يدل على أمرين: تأكيد النفي وتحققه، وإخراج بعض الأفراد التي يعلمها من شاء الله كما يعلم بالوحي ونحوه[2].

والواجب على الناس اتباع ما أنزل الله على محمد ﷺ من الكتاب

---

(١) وهذا الحديث جاء في صحيح البخاري رحمه الله بلفظ: عن عائشة رضي الله عنها قالت: من حدثك أن محمد ﷺ رأى ربه فقد كذب وهو يقول: «لا تدركه الأبصار» ومن حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب وهو يقول: «لا يعلم الغيب إلا الله» وبلفظ: (من زعم أن محمد رأى ربه فقد أعظم ولكن قد رأى جبريل في صورته وخلقه ساداً بين الأفق.

وأخرجه مسلم أيضاً في الإيمان باب: معنى قول الله تعالى: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ رقم الحديث ١٧٧.

(٢) ولو ترك هذا اللفظ (ونحوه) من هذه العبارة لكان التعبير أعمق وأدق حيث يوهم أن ذلك إلهام وما يراه النائم في نومه ويتحقق عين ما رآه في اليقظة عملاً بحديث: «لا تكاد رؤيا المؤمن تكذب في آخر الزمان» ومن هنا يتشبث به القبوريون أمثال المردود عليه الذين يعتقدون أن الأولياء الذين يعبدونهم من دون الله يعلمون الغيب بطريق الكشف وقطعاً لهذه الأوهام الخيالية فإن ترك هذا اللفظ في نظري أسلم فإن قيل بأنّ الوحي يتناول وحي الرسالة ووحي الإلهام وما يراه النائم في النوم فإنما تتوهمونه يرد عليه كما يرد على هذا اللفظ لقوله تعالى: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم﴾ وقوله: ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾ وقوله: ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون﴾.

قلنا إن الإلهام وما يراه النائم فيتحقق في اليقظة ليس من قبيل علم الغيب لا من قريب ولا من بعيد وذلك أن الإلهام هو أن يلهم الله المرء التوجه إلى عمل ما ينفعه في الدين والدنيا وإلى الكف عما يضره ويرشده إلى ذلك ويقوّي عزمه عليه ويملأ قلبه ثباتاً ويقيناً ويشرح صدره لذلك العمل المعزوم عليه وينفذه عملياً لما وقر في قلبه كل ذلك يتم من غير علم من المرء نتيجة ذلك العمل المبرم ولكن توجهه هذا موفق لأنه إلهام من عالم الغيب الذي لا يضل ولا ينسى سبحانه وتعالى وهذا التوفيق لا علاقة للمرء بعلم الغيب وكذلك ما يراه النائم.

والحكمة وترك ما انتحله المبطلون من رد النصوص بأنواع التحريفات والتأويلات المصادمة لمدلول النصوص. وتأمل قوله تعالى: ﴿ **الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير، يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور**﴾[1] كيف تجد تحته من إثبات الحمد والثناء المطلق على نفسه المقدسة بما دلت عليه هاتان الآيتان الكريمتان[2] ولو قيل بمشاركة غيره في ذلك لفات الحمد المقصود ولما تأتي هذا الثناء بما يشاركه فيه مخلوق ضعيف قال مالك بن أنس رحمه الله تعالى: (أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما نزل به جبريل على محمد ﷺ أو كما قال: وقد ذم الله اليهود بتحريف الكلم عن مواضعه فقال تعالى: ﴿ **من الذين هادوا يحرّفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليّا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً**﴾[3].

وفي الحديث: (لتتبعن سنن من كان قبلكم حذوا القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله: اليهود والنصارى قال: (فمن)؟[4].

---

(١) سورة سبأ، آية ١ الأولى منها.

(٢) في الأصل (هذه) والصواب ما أثبتناه (هاتان الآيتان).

(٣) سورة النساء، آية ٤٦ ولكن الناسخ ظن أن هذه هي التي في سورة المائدة ولذلك سجل: ونسوا حظاً مما ذكروا به وتلك بداية الآية: ﴿**فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم**﴾ وهذه الآية التي في سورة النساء أولها: ﴿**من الذين هادوا الآية**﴾ وبناء على ذلك: والصواب ما أثبتناه في صلب الرسالة.

(٤) وقد عزا الشيخ محمد بن عبد الوهاب هذا الحديث إلى الشيخين البخاري ومسلم ولكن اللفظ في الصحيحين يخالف هذا اللفظ حيث جاء في صحيح البخاري مرتين مرة بلفظ - حدثنا سعيد بن مريم: حدثنا أبو غسان قال: حدثني زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي

فهـذا التحريف إنمـا عرف عن اليهـود، وأما مـا جـاء من الاستثنـاء في بعض الآيـات كقولـه: في آية الكـرسي: ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمـه إلا بما شاء وسع كرسيـه السموات والأرض﴾ وقـوله: ﴿ عـالم الغيب فلا يـظهر على غيبـه أحداً إلا من ارتضى من رسـول﴾ وكـذلـك إخبـاره ﷺ عن أشيـاء وقعت فيمـا مضى، وإخباره عن أشيـاء تقع في أمتـه فهذا ونحـوه أمـر جـزئيّ بالنسبة إلى ما اختص الله بعلمه كما مر في حديث موسى وقول الخضر له: ما نقص علمي وعلمـك من علم الله إلا كمـا نقص هـذا العصفـور من البحـر، وهـذا بالنسبـة إلى علم الله وإن كثر واتسـع بالنسبـة إلى علوم الخلق فـإن مـا يحصل لرسل الله من العلوم والمعارف لا نسبة بينه وبين علم الله الـذي أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً، وهـذا الجزئي لا يفيـد أن من علمه فقد علم الغيب أو أنه ناسخ للنصوص العامة المطلقة: غاية ما هناك إثبات ما دل عليه الاستثناء في الآيات كبعض الأفراد الجـزئية وهـو لا يمنع العمـوم بل العـام باق على عمومه[1] كمـا لا يخفي على من لـه أدنى فهم، وبهـذا تعلم

سعيد رضي الله عنه قـال: «لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبـر وذراعاً بـذراع حتى لو سلكـوا جحر ضب لسلكتموه» قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: (فمن؟) رقم هـذا الحديث ٣٢٦٩: ومـرة بلفظ حدثنـا محمد بن عبـد العزيـز: حدثنـا أبو عمـر الصنعاني من اليمن عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم» قلنا: يا رسـول الله اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟».

وأخرجه مسلم في العلم بـاب: اتباع سنن اليهـود والنصارى رقم الحـديث في مسلم ٢٦٦٩. وغاية الأمر أن هذا الحديث موجود في الصحيحين بهذه الألفاظ التي ذكرناها وأما اللفظ الذي ساقه المصنف لا يوجد فيهما ولعله في الكتب الأخرى ولا يضر اختلاف اللفظ مـا دام الأصل موجوداً فيهما والله أعلم.

(١) الأولى (بـل العام بـاق على عمومـه) لأن ذلك أصـل قرره تعـريف الأصوليين وتقسيمهم العـام حيث قسموه إلى ثلاث أقسام عام مخصوص وعام [أريد به الخصوص وعام باق على عمومـه وقد عرفت سر ذلك من كلام المؤلف رحمه الله فإن الاستثناء الـذي جاء في نص الكتاب والسنة لا يخصص علم الغيب بغيـره سبحانـه حيث أن الجزئي الـدقيق الـذي يعلمـه الله أنبيـاءه من علمه تعالى وهذا لا يخرج العام من عمومه كما قرر ذلك أهل التحقيق والثبت والله أعلم.

بطلان دعوى هذا الفارسي وأمثاله أن الأموات يعلمون الغيب فإن هذه الدعوى مصادمة ومصادرة لما مر من النصوص ولأن الغيب اسم يقع على كل ما غاب عن الخلق من العلوم والمعارف، وما كان وما يكون وما لم يكن كيف يكون كما قال العلّامة ابن القيّم في معنى اسمه العليم شعراً:

وهو العليم أحاط علماً بالذي	في الكون من سر ومن إعلان
وبكل شيء علمه سبحانه	فهو المحيط وليس ذا نسيان
وكذاك يعلم ما يكون غدا وما	قد كان والموجود في ذاالان
وكذاك أمر لم يكن لو كان	كيف يكون ذا إمكان

فمن عرف هذا عرف أنه لا يجوز إطلاق القول بجواز حصول علم الغيب لأحد من الخلق، ومن المستحيل عقلاً وشرعاً وجود من يعلم كعلم الله: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[1]، ومن جهل هؤلاء القبوريين إطلاق هذه العبارة الموهمة والترويج على العوام بأن الاستثناء يدل على أن الأولياء يعلمون الغيب، وهذا كما ترى من أعظم الجهل وأقبحه، قال العماد ابن كثير في تفسير قوله تعالى: **﴿قل إن أدرى أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمداً عالم الغيب﴾**[2] في هذه الآية الكريمة دليل على أن الحديث الذي يتداوله كثير من الجهلة من أنه عليه الصلاة والسلام: «**لا يؤلف تحت الأرض**» كذب لا أصل له ولم نره في شيء من الكتب وقد كان ﷺ يسأل عن الساعة فلا يجيب عنها فلما تبدّا له جبريل عليه السلام في صورة أعرابي كان فيما سأله أن قال: يا محمد أخبرني عن الساعة قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل: وقال في قوله تعالى: **﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبة أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾**: هذه كقوله تعالى: **﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾**[3] وهكذا قال ههنا إنه يعلم الغيب والشهادة حتى أنه لا يطلع

(١) سورة الشورى، آية ١١.
(٢) سورة الجن، آية ٢٥ ـ ٢٦.
(٣) سورة البقرة، آية ٢٥٥.

أحد من خلقه على شيء من علمه إلا بما أطلعه تعالى عليه ولهذا قال: (فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول)[1] وهذا الرسول ملكي وبشري[2] ثم قال تعالى: (فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً) أي يختصه بمزيد معقبات من الملائكة ليحفظوه من أمر الله ويساوموه على ما معه من وحي الله ولهذا قال: (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً) ثم ذكر الأقوال في مرجع الضمير في قوله: ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم، قلت: فتأمل سياق الآية فإنه بدأ[3] الكلام بقول: (قل إن أدرى أقريب ما توعدون) فنفي من علمه بقرب ما يوعدون وهو الساعة وذكر بعد هذا علمه تعالى، وأنه لا يظهر عليه أحداً من خلقه إلا من ارتضى من رسول ملكي أو بشري، وذكر الحرس والرصد الذين يكونون بين يديه ومن خلفه وهم المعقّبات الذين يحفظونه من أمر الله، ثم قال: ﴿ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم﴾. فعقد السياق فيه دلالة وبيان للمعنى المراد من الاستثناء وأن ذلك هو وحيه الذي يوحيه إلى رسله من كلامه ورسالته وهي بالنسبة إلى علم الله كنقطة من بحار الدنيا في جنب تلك البحار.

وأعظم من ذلك قوله تعالى: ﴿ ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم﴾[4].

---

(١) ويدل على ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم﴾ سورة آل عمران آية ١٧٩.

(٢) في الأصل الملكي والبشرى معرفين ولعل الصواب ما أثبتناه للا يتوهم أنهما تابعان ولكنهما خبران عن اسم الإشارة.

(٣) في الأصل (أبدأ) ولكنني بدا لي أن الأفصح بدأ حيث أنه هو اللفظ الذي ورد في القرآن كثيراً وأما أبدأ فجاء مضارعه في القرآن مثل قوله: ﴿قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد﴾ ولم أر فيما علمته ماضيه فيه ولذا فضلت بوارد وأما من ناحية اللغة فلا شك في فصاحته لأنه جاء مضارعه في كتاب الله.

(٤) سورة لقمان، آية ٢٧.

فإذا كان هذا الحال بكلامه فما ظنك بعلمه تبارك وتعالى، فمن زعم أن أحداً يعلم جميع الغيب فقد أساء الأدب على الله تعالى وتقدس وما قدروا الله حق قدره.

وكذلك كرامات الأولياء دون ما ثبت للأنبياء بكثير بل لا نسبة بينها وبينه لا في الكمية ولا في الكيفية.

وقول الفارسي نقلاً عن البيضاوي[1] واستدل به على إبطال الكرامات وجوابه يختص الرسول بالملك، والإظهار إنما يكون بغير واسطة، وكرامات الأولياء باطلاعهم على المغيبات إنما يكون تلقياً من الملائكة كاطلاعنا على أحوال الآخرة بواسطة[2] الأنبياء عليهم الصلاة والسلام انتهى.

وهذا الكلام فيه نظر ظاهر فإن الرسول أعم من الملكي والبشري وعبارة السلف دالة على ذلك، والإظهار أعمّ من أن يكون بواسطة أو بغيرها وأكثر الرسل إنما يظهرهم على ذلك بالوسائط كما قال تعالى: ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه عليّ حكيم** ﴾[3].

وإطلاع الأولياء على شيء من الغيب هو من الإلهام الذي تضمنه الوحي لا يتقيد بالتلقي عن الملك كما قال تعالى: ﴿ **وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في أليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادّوه**

(١) مؤلف هذا التفسير هو قاضي القضاة ناصر الدين أبو الخير عبدالله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي الشافعي وهو من بلاد فارس ابن قاضي: شهبة في طبقاته صاحب المصنفعات، وعالم أذربيجان، ولّي قضاء شيراز قال السبكي والأسنوي توفي بمدينة تبريز سنة إحدى وتسعين وستمائية ٦٩١ من الهجرة النبوية وقال ابن كثير وغيره: توفي سنة خمس وثمانين وستمائة ٦٨٥ هـ واسم تفسيره الذي جاء فيه هذا الكلام: أنوار التنزيل وأسرار التأويل هـ انظر (التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي) جـ ١ ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧.

(٢) في الأصل توسط الأنبياء.

(٣) سورة الشورى، آية ٥١.

إليك وجاعلوه من المرسلين﴾[1] وهو أعمّ من أن يكون بواسطة أو بغيرها فكلام البيضاوي مردود، والمعروف في حد الكرامة أنها خرق الله العادة لوليه من غير ادعاء التحدّي كما في قصة عمر وقصة آصف وقصة مريم وكما يذكر عن أبي إدريس الخولاني وعن أبي العلاء الحضرمي وأمثالهم[2].

---

(١) سور القصص، آية ٧١.

(٢) سبق أن ذكرنا الكرامة التي أكرم الله بها مريم أما قصة آصف فذكرها الله سبحانه وتعالى في سورة النمل حيث أن الباري سبحانه وتعالى أخبر عن قول نبي الله سليمان بقوله: ﴿قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين﴾ وروي أن سليمان قال أريد أسرع من ذلك ـ لأن المقام كما ذكره المفسرون من زمن جلوسه للحكم والقضاء من الصباح إلى أن يقوم من مجلس الحكم ويقدر ذلك بخمس ساعات ولما طلب سليمان أعجل من ذلك قال الذي عنده علم من الكتاب ـ وهو آصف ـ أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك، يريد إذا أغمض عينيه قبل أن يفتحهما فسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يحقق طلبه فحقق الله له ذلك كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم﴾ وهذه هي كرامته التي أكرمه الله بها.

وأما قصة أبي مسلم الخولاني فهي ما أجرى الله عليه من خارق العادة حيث أن الله نجاه من النار لما ألقاه الأسود العنسي فيها وجعل عليه النار برداً وسلاماً وكمشيه على البحر وغير ذلك مما أكرمه الله به، وأما قصة العلاء بن الحضرمي فإنه لما ذهب إلى البحرين سلكوا مفازة وعطشوا عطشاً شديداً حتى خافوا الهلاك فنزل فصلى ركعتين ثم قال: يا حليم يا عليم يا عظيم أسقنا فجاءت سحابة فأمطرت حتى ملأوا الأواني وسقوا الركاب ثم انطلق إلى خليج من البحر ما خيض قبل ذلك اليوم فلم يجدوا سفناً فصلى ركعتين ثم قال: يا حليم يا عليم يا علي يا عظيم أجزنا ثم أخذ بعنان فرسه فقال: (جوزوا باسم الله)، قال أبو هريرة رضي الله عنه: فمشينا على الماء فوالله ما ابتل لنا قدم ولا خف ولا حافر، وكان الجيش أربعة آلاف.

وأما قصة عمر رضي الله عنه فإنه بينما هو ذات يوم يخطب المسلمين على المنبر كشف الله له جيش سارية وقد كاد العدو ينال منه ويلحق به الهزيمة غرة من وراء الجبل فنادى عمر رضي الله عنه ـ وقد قطع الخطبة ـ يا سارية الجبل تحذيراً له من العدو ومكرهم من وراء الجبل فسمع سارية صوته مع بعد المسافة لأن عمر بالمدينة والجيش بنهاوند، ولا شك أن هذه كرامة أكرم الله بها عمر وسارية وجيشه حيث أراه الله ما لم تجر العادة برؤيته في مثل تلك المسافة البعيدة وأنطقه الله بما فيه النجدة لهذا الجيش الإسلامي من كيد أعدائه الذين كادوا

وذلك ونحوه داخل في عموم قوله تعالى: ﴿إلا بما شاء﴾ وقد دخل فيه ما يحصل للأنبياء بواسطة وبغير واسطة، وكذلك لا يقال: إن أحداً ثبت له هذا بجميع أنواع الغيب كلّيّة وجزئيّة لأن ذلك لا يكون إلا لله كما قال عن الملائكة: ﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾[1] وقال عن المسيح: ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علّام الغيوب﴾[2] وقال لنبيه ﷺ: ﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسّني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾[3].

أن يظفروا به من وراء الجبل بندائه سارية باللجوء إلى الجبل بمن معه من الجيش ليتحصنوا به من العدو وقد حقق الله له ذلك بعلمه وكرمه وحكمته ولكن لا تدل هذه القصة على علمه رضي الله عنه الغيب مما يختص الله به أو يخص به أنبياءه وإنما تدلْ على ما كشف الله له في تلك الحالة الطارئة التي أراد الله فيها أن ينجد أولياءه الذين بذلوا أرواحهم لإعلاء كلمة الله بما عرض عليه من تلك الحادثة الغريبة نصراً لأوليائه وكبتاً لأعدائه، بل إنما هذا الحادث الجلل من الإلهام الذي أشار إليه النبي ﷺ بقوله: «لقد كان فيما قبلكم من الأمم أناس محدثون فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر» رواه الشيخان وروى البخاري من رواية أبي هريرة ومسلم ومن رواية عائشة رضي الله عنهما قال ابن وهب (محدثون) أي: ملهمون.

ولو لم نذهب إلى هذا الرأي لجاز لنا أن نجعل المستثنين من قوله تعالى: ﴿فلا يظهر على غيبة أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾ وقوله تعالى: ﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن يجتبي من رسله من يشاء﴾ - الأنبياء وغيرهم من أفراد الناس وهذه دعوى بلا دليل.

وأما ما يكرم الله به عباده الصالحين المستقيمين من الخوارق للعادة كالأمثلة السابقة فأمر ثابت بالكتاب والسنة.

وهذا يتناول عدة جوانب من استجابة الدعاء لهم بإعطائهم عين ما يطلبونه، وتقوية قلوبهم وشد عزائمهم على اقتحام المخاطر ثقة بنصر الله، والذود عنهم كما حمي الله عاصم بن ثابت من قطع العدو رأسه بإرسال الدبر عليهم ولم يستطيعوا أن يعملوا به شيئاً لحماية الله إياه مع كون ذلك غاية أمانيهم حيث أن عاصماً قتل من عظمائهم، وسوق الأرزاق العجيبة إليهم كما رزق خبيباً قطيفاً من العنب في غير أوانه فصار عجباً للذين رأوا ذلك.

(١) سورة البقرة، آية ٣٢.
(٢) سورة المائدة، آية ١١٦.
(٣) سورة الأعراف، آية ١٨٨.

ولا عبرة هنا بالمكابرة والدعوى المجردة عن الدليل والبرهان كقول بعض الضالين إن ذلك يتأتى للأولياء على سبيل الكرامة فإن هذا لا دليل عليه من كتاب ولا من سنة بل ولا قاله من يعتد به من هذه الأمة، وإنما يعرف عمن غلط عن معرفة الله ومعرفة حقه حجابهم وكثر في دينه وخبره ريبهم واضطرابهم وعجزت عن معرفة قدره وعظمته وعموم علمه ألبابهم.

(قال الشيخ عبد اللطيف رحمه الله):

وأما قول الفارسي: العلم صفة للنفس أنعم الله بها وهي باقية بعد مفارقة البدن فيجوز أن يكون حاصلاً لهم بعدها على وجه أتم وأكمل إلى آخر عبارته.

فيقال: هذا من عجائب جهلهم فإن الذي خلق الروح وصوّرها وعلّمها وقبضها وخلّصها من الكدورات البدنية وقشع عنها الظلمة الجسمانية هو الذي أخبرنا أن عنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر[1] الآية، وأنه لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله) وهو القائل لنبيه ﷺ: **﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك﴾**، وهو المخبر عن الملائكة الذين خلصوا من الكدورات وخلقوا من النور؛ **﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾**[2] وهو المخبر عن عبده ورسوله المسيح بن مريم عليه السلام أنه يقول يوم العرض الأكبر: **﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾**[3] وهو جل ذكره القائل: **﴿ولله غيب السموات والأرض﴾**[4] الآية، فسبحان الله ما أجهل من زعم علم الغيب لغيره تعالى من حيّ أو ميت

---

(١) سورة الأنعام، آية ٥٠.

(٢) سورة البقرة، آية ٣٢.

(٣) سورة المائدة، آية ١١٧.

(٤) سورة هود، آية ١٢٣ وتمام الآية الكريمة: ﴿وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون﴾.

وما أضله عن سواء السبيل، كيف يعارضون النصوص بهذا الكلام المموه المزخرف ويعتمدون عليه؟ وينبذون كتاب الله وراء ظهورهم؟ ويقال لهذا: قد تقدم من الآيات والأحاديث ما يدل على أن الحي لا يعلم جميع الغيب وأن علمه وإن عظم قدره بالنسبة إلى علم الله كنسبة ما يأخذه العصفور في منقاره من البحر وإذا كانت هذه حاله في الحياة فكيف بحاله بعد الممات واطلاعه على بعض الجزئيات لا يدل على علمه بجميع المغيبات، وأيضاً فالذي ذكره الفارسي لا ينتج الدعوى لأنها وإن تخلصت من الظلمات الجسمانية والكدورات البدنية فلم تخلص من التبعات الكسبية وما اجترحته في الحياة الدنيوية. وإن تخلصت على وجه الكمال فهي مشغولة بما هي فيه من العالم الأخروي واللذة الحاصلة بالنعيم والجنة والكرامة، وعالم الأرواح عالم عظيم وحالها فيه حال لا تدرك بمجرد العقل والقياس وإنما تعرف بالنصوص الواردة في ذلك والدالة عليه.

(قال الشيخ عبد اللطيف):

وأما قوله[1]: ﴿ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ إلى آخر ما قال من ذكرهم الله واشتعال نار الشوق والمحبة في قلوبهم وأنهم يصيرون فانين في الله باقين به، به يسمعون وبه يبصرون ونحو ذلك ـ فمن احتج بهذا على أنهم يعلمون الغيب فهو كمن يحتج بهذا على أنهم يتصرفون وينفعون ويضرون ويدعون لذلك، ويقال لهذا المشبه: متى ثبت أن الله أعطي أحداً من خلقه علم الغيب كليّه وجزئيّه في حياته أو بعد مماته ومن الذي أثبت هذا؟ حتى يقال: إن ذلك باق لهم لا يغيّر مع أن بعض التغير وجنسه يحصل بالموت كالتغير من الحياة إلى الممات ومن الوجود إلى الفناء، قال تعالى: ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾[2] وطرد كلام الفارسي أن يقال: إنهم باقون لأن الله لا يغير

(١) أي استدلال الفارسي بهذه الآية على نصر باطله.

(٢) سورة الرحمن، آية ٢٧.

نعمتـه عليهم. هذا لـو فرض ثبـوت ذلك في حـال الحياة فكيف ذلـك[1]، قد ردته النصوص والبراهين وكونهم يذكرون الله قياماً وقعوداً ويفنون به عما سـواه ويسمعـون به ويبصـرون ويبطشـون فهـذا يفيد تحقيق التـوحيـد وأن أعمـالهم وحركاتهم خالصة لله وقعت بـالله ولله فهم قد حققـوا معنى ﴿إياك نعبـد وإياك نستعين﴾ وهذا هو محض الإسلام وجزيل الفضل والانعام.

وأصحاب هذه الأحوال وهذه المقامات تبقى كـرامتهم في الدار الآخـرة بمعنى إثابتهم وعلو درجتهم ولذتهم بما حصّلوه من حقائق المعـارف ولطائف الكرامة[2] وقوله تعالى: ﴿ألا إن أولياء لله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[3] يـدل على هذا كمـا ذكره البيضـاوي ونقله عنه الفـارسي لكنه وضعـه في غيـر مـوضعه واستـدل به على غيـر ما سيق لـه فـإن المعنى الـذي دل عليـه كـلام السلف أنهم لا خوف عليهم مما أمامهم يقدمون عليه ولا يحـزنون على شيء ممـا خلفوه وهـذا لا دليل فيـه على أن أحداً يعلم الغيب، ثم سـاق الفـارسي آثـاراً تروى في عـرض بعض أعمال الأحيـاء[4] على أقاربهم وعشـائرهم، من الموتى كحديث أبي أيوب وحديث جـابر وحـديث النعمان والمعنى متقـارب، وهذا لا يدل على الدعوى بوجه من الـوجوه لأنـه من جنس اطلاع الحي على بعض الجـزئيات، والكـلام والبحث إنما هـو في الكل والجميـع لا في بعض الجـزئيات وليس هـذا الجزئيّ ثـابتاً لكـل أحد من الأمـوات فإن الأحـاديث لا عموم فيها ولا تدل عليه بل هي خاصة باطـلاع البعض على بعض الأعمال لا كلها.

---

(١) لـو قال المؤلف رحمـه الله فكيف بعد المـوت وقد ردتـه النصوص والبـراهين لكـانت العبـارة مستقيمة ١ هـ.

(٢) الأولى أن يكون بصيغة الجمع ليكون الكلام على وتيرة واحدة ١ هـ.

(٣) سورة يونس، آية ٦٢.

(٤) ومثل هذه الأحاديث التي أشار إليها حديث عبادة بن الصامت حيث سأل رسول الله ﷺ أن أمه ماتت فجأة وأنها لولا ذلك لتصدقت فلو تصدقت عنها أفيصلها ثواب ذلك فقال النبي ﷺ نعم وكذلك أن أبـا أيوب الأنصـاري لما أصيب بقـرب قسطنـطينية سـأل أصحابـه أن يقربـوه إلى سورها ليسمع صوت خيول الفاتحين لها وهكذا.

وأما فقر العبد وحاجته، ومصلحته، ومفسدته، وغير ذلك، وظاهر أمره وباطنه وشاهده وغائبه فلا يعلمه إلا الله الذي يعلم السر وأخفى، ومن العجب استدلال هؤلاء بما هو حجة عليهم لا لهم فإن هذه الأحاديث فيها أنه يعرض على الميت عمل قريبه وولده وإذا كان يعرض عليه فعلمه قاصر على نفس المعروض لا يتعداه إلى غيره وإذا اختص بالقريب ففيه التنبيه على أنه لا يعلم عمل غير قريبه وإذا اختص بالعمل دل على أنه لا يعلم غيره من عموم الأحوال، فالأحاديث والقرآن حجة عليهم لا لهم والحمد لله.

وأما كلام ملّا قاري في شرحٍ قوله ﷺ: «**لا تجعلوا قبري عيداً فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**»، قال نقلاً عن القاضي: وذلك أن النفوس الزكية القدسية إذا تجردت عن العوائق البدنية عرجت واتصلت بالملأ الأعلى ولم يبق لها حجاب فترى الكل كالمشاهدة بنفسها أو بأخبار الملك من السر له فلعل هذا مبني على كلام ابن سيناء ومن وافقه من الفلاسفة القائلين بأن الكتب المنزّلة فيض فاض من العقل[1] الفعّال على النفس المستعدة الفاضلة

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (الرد على المنطقيين): إن الفلاسفة يقولون: إن الحوادث التي في الأرض تعلمها النفس الفلكية ويسميها من أراد الجمع بين الفلسفة والشريعة بـ(اللوح المحفوظ) كما يوجد في كلام أبي حامد ونحوه، وهذا فاسد فإن اللوح المحفوظ الذي وردت به الشريعة كتب الله فيه مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة كما ثبت ذلك في الصحيح عن النبي ﷺ، واللوح المحفوظ لا يطلع عليه غير الله والنفس الفلكية تحت العقول ونفوس البشر عندهم تتصل بها وتنقش في نفوس البشر ما فيها. ولهذا يقول بعض الشيوخ الذين يتكلمون باللوح المحفوظ على طريقة هؤلاء إما عن معرفة بأن هذا قولهم وإما عن متابعة منهم لمن قال ذلك من شيوخهم الذين أخذوا ذلك عن الفلاسفة كما يوجد ذلك في كلام ابن عربي وابن سبعين والشاذلي وغيرهم يقولون: إن العارف قد يطلع على اللوح المحفوظ وأنه يعلم أسماء مريديه من اللوح المحفوظ أو أنه يعلم كل ولي كان ويكون لله من اللوح المحفوظ ونحو هذه الدعاوى التي مضمونها أنهم يعلمون ما في اللوح المحفوظ، وهذا باطل مخالف لدين المسلمين وغيرهم من أتباع الرسل، والمقصود هنا أنهم يقولون إن النفس إذا حصل لها تجرد عن البدن إما بالنوم وإما بالرياضة وإما بقوتها في نفسها اتصلت بالنفس الفلكية وانتقش فيها ما في النفس الفلكية من العلم بالحوادث الأرضية ثم ذلك العلم العقلي قد تخبر به النفس مجرداً وقد

الـزكية فتصـورت تلك المعاني وتشكلت في النفس بحيث يتـوهمهـا أصـواتـاً تخاطبه وربما قوي هذا الوهم حتى يراها أشكالات نورانية تخاطبه وربما قوى ذلك ببعض الحاضرين فيرونها ويسمعون خطابها، ولا حقيقـة لشيء من ذلك في الخارج وهذا يكون عندهم بتجرد النفس عن العلائق واتصالها بالمعارفات من العقول والنفوس المجردة، وهذه الخصـائص تحصل عنـدهم بالاكتسـاب ولهذا طلب النبوة من تصوف على مذهب هؤلاء.

(وأقوال[1] هؤلاء دخلت على كثير من الناس) إما باطني ملحد أو جـاهل

تصوره القوة المخيلة في صور مناسبـة له ثم تلك الصـور تنتقش في الحس المشترك كمـا أنه إذا أحس أشياء بالظاهر ثم تخيّلها فإنه تنتقش في الحس المشترك فالحس المشترك ترتسم فيه ما يوجد من الحواس الظاهرة وينتقش فيه ما تصوّره القوة المتخيلة في الباطن. وما يراه النائم في منامه والمرور في حال مرضه من الصور الباطنـة هو من هـذا لكن نفس النبي ﷺ لها قـوة كاملة فيحصل لها تجرد في اليقظة فتعلم وتتخيل وترى ما يحصل لغيرها في النوم.

قيل: هذا الكلام أولاً ليس من كلام قدماء الفلاسفة كأرسطو وأصحابه ولا جمهورهم وإنما هو معروف عن ابن سينا وأمثاله وقد أنكر ذلك عليه إخوانه الفلاسفة كابن رشد وغيـره وزعموا أن هذا الكلام باطل ولم يتبع فيه سلفه، وثانياً أنه مبني على أصول فاسدة كثيرة الأصل، الأول: أنـه لا سبب للحوادث إلا الحـركة الفلكيـة وهذا من أبـطل الأصول. الثـاني: إثبات العقـول والنفوس التي يثبتونها وهو باطل.

ثم استفهم شيخ الإسلام ابن تيمية: هل منبع الفيض هو النفس الفلكية أو العقل الفعّال؟

الثالث: إثبات كون الفيض يحصل من النفس الفلكية فإنه لو سلم لهم ما يذكرونه من أصولهم فعندهم ما يفيض على النفوس إنما هو من العقل الفعّال المدبر لكل ما تحت فلك القمر ومنه تفيض العلوم عندهم على نفوس البشر الأنبياء وغيرهم والعقل الفعـال لا يتمثل فيـه شيء من الجزئيات المتغيرة بل إنما فيه أمـر كلي لكنه بـزعمهم دائم الفيض فإذا استـدعت النفس لأن يفيض عليها منه شيء فاض، وذلك الفيض لا يكـون علماً بجـزئي فإنـه لا جزئي فيـه فكيف يقولون هنـا إن الفيض على النفوس هـو من النفس الفلكية؟ وكـلامهم في هذا المـوضع قـد عرف تناقضه وفساده فإن العقل إن كان يفيض عنه مـا ليس هو فيـه كان في المعلول مـا ليس في العلة وإن كان لا يفيض إلا ما فيه فليس فيه إلا الكليات ليس فيه صور جسمانيـة ولا علم بجزئيات ولا مزاج ولا غير ذلك مما يدّعون فيضه عن العقل ١ هـ كتاب الرد على المنـطقيين ص ٤٧٤ ـ ٤٧٨.

(١) والأولى: أن يكون تركيب هذه الجملة كالآتي: والذيتن دخلت عليهم أقوال هؤلاء أما باطني.

لا يدري أصول الأقوال ومذاهب الناس كشارح المشارق، وإذا كان هذا قولهم في النبوة وأنها مكتسبة على هذا الوجه فلا يبعد أن يقولوا بأن الأرواح إذا تجردت أدركت علم الغيب وصار الكل لها كالمشاهدة، فنعوذ بالله من زيغ الزائغين وضلال الضالين وتحريف الملحدين وانتحال المبطلين، والذي جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أن الروح إذا تجردت عن الجسم حال موته يعرج بها فإن كانت روحاً طيبة فتحت لها أبواب السماء وعرج بها إلى الله تعالى ثم تكون طائراً يعلق في شجر الجنة وأرواح الشهداء في جوف طير خضر تسرح في الجنة، هذا الذي دل عليه كتاب الله وسنة رسوله يعرف ذلك من عرفه من أهل العلم والإيمان.

وأما هذه الأقوال المبتدعة التي لم تصدر عن معصوم بل ربما صدرت عمن لا يحكم بإسلامه كابن سينا وأمثاله من الفلاسفة المتسببين إلى الإسلام وهم من أبعد الخلق عنه وقد يقولها من يحسن الظن بهؤلاء ممن يخفي عليه حالهم ولا دراية له بأقوال الخلق ومذاهبهم، والعصمة والسلامة في الاعتصام بحبل الله الذي هو كتابه ومتابعة نبيه ﷺ، وما عدا ذلك أو خالفه فلسنا منه في شيء.

قال الفارسي:

الشبهة الثالثة أن الأنبياء لا تصرف لهم يعني لا قدرة لهم على إيصال الخيرات ودفع المضرّات في الحياة لقوله تعالى: ﴿**قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله**﴾ وقوله تعالى: ﴿ **وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم**﴾[1].

وإذا[2] كان حالهم هذا في الحياة فما ظنك بهم أو بغيرهم في الممات

---

(١) سورة يونس، آية ١٠٧.

(٢) في الأصل المخطوط (وإن كان) ولعل الصواب ما أثبتناه في صلب الرسالة من (وإذا كان

قال الفارسي: أجيب بأن المراد نفي المالكية الاستقلالية والقدرة الذاتية الكاملة عن غيره تعالى لا مطلقاً كما يدل عليه الاستثناء، وقال صاحب معالم التنزيل: إلا ما شاء الله أن أملك ـ فالآيتان ونحوهما تدل على أن ثبوت القدرة الكاملة لله تعالى بذاته لا من غيره ولا تدل على النفي مطلقاً بل يجوز أن تكون حاصلة لعباده مفاضاً منه ويجوز أن يكون للنفوس الكاملة تصرف في العالم من جهته تعالى بأن يجعلهم متصرفين مدبرين بإذنه ويستجاب لهم دعاؤهم وتقبل شفاعتهم وينفذ لهم تصرفاتهم، والمدبر المتصرف حقيقة هو الله، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام والأولياء في صدور التصرفات والكرامات عنهم في الظاهر مظاهر لتصرفاته تعالى كالمرآة المجلوة المتصلة إذا استنارت من الشمس صارت منورة للأجساد المظلمة ويجوز أن تكون حالهم بعد مفارقة أرواحهم عن الأبدان في التصرفات كحالهم قبلها بل أتم وأصفى وأكمل وأجلى.

(قال الشيخ عبد اللطيف رحمه الله):

والجواب عن هذا الكلام أن يقال: إن التصرف لفظ عام وعبارة مطلقة يدخل فيها التدبير والتغيير وسائر أنواع الإيجاد والإحداث والإبداع والتأثير والتسخير وغير ذلك من أفعال الربوبية التي تختص به تعالى وكذلك الأسباب العادية التي تقع من عموم الخلق.

والأول هو الذي قصده بقوله: ودعوى حصول هذا لمخلوق مصادمة ومصادرة لنصوص الكتاب العزيز المصدق وفتح لباب الإلحاد والشرك المحقق فإن هذا الأصل أعني اختصاصه سبحانه بالخلق والإبداع والتدبير والتصريف هو أكثر أصول الإسلام وأجلّها وقاعدته العظمى التي تدور عليها جميع الأحكام وجميع القرآن من أوله إلى آخره يدل على هذا الأصل ويقرره وقد احتج به تعالى على وجوب عبادته وطاعته وأنه الإله الحق دون ما سواه

= الخ) حيث أن إذا لليقين وإن للشك والله أعلم بالصواب.

قال تعالى: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ فأثنى على نفسه بعموم ربوبيته المتضمنة لخلقه وتدبيره وإلهيته، وقال تعالى: ﴿يأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾[1].

وتأمل هاتين الآيتين كيف استدل فيهما بفعله وتدبيره وخلقه وتصريفه على وجوب عبادته وتحريم اتخاذ الأنداد له وخصّ ما ذكر في الآية (الأخيرة) لأنه أصل يندرج تحته ما سواه من الجزئيات ولأنه مشاهد محسوس يدركه كل أحد حتى البليد الذي لا يدرك سوى الحسيّات ولما في ذلك من بديع الصنع والاتقان وظهور القدرة والشأن فجعل الأرض فراشاً والسماء بناء مع عظمهما وسعتهما وما أودع فيهما من الآيات عجائب، المخلوقات وأنواع التدبيرات الكليات والجزئيات ما يدلك على انفراده تعالى واختصاصه بهذا الأصل العظيم.

وفي[2] ذلك من إنزال المطر من السماء على التصريف المخصوص والتدبير المتقن المحكم وجعله أصلاً لمادة أرزاق المخلوقات على اختلاف أجناسها وأنواعها وتباين أصنافها وأشكالها ما يدل على أن الله هو المتفرد بالتصريف والتدبير وحده لا شريك له فبطل بنص هذه الآية وعمومها ما زعمه هذا الملحد.

أما السماء والأرض وما بينهما من المخلوقات والأرزاق فبطريق التنصيص والعموم وما عداهما فبطريق الفحوى والأولى وقال تعالى: ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من

---

(١) سورة البقرة، آية ٢١ - ٢٢.

(٢) الجار والمجرور خبر مقدم وما يدل مبتدأ مؤخر والجملة معطوفة على الجملة التي قبلها سيقت لتقرير وحدانية الله.

تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير﴾[1] فإن فيها من الرد على من قال بأن أرواح المشايخ تتصرف ما لا تتسع لبسطه هذه الفتوى، ولكن نشير إلى ذلك إشارة فإن إعطاء الملك ونزعه والعز والذل يدخل تحتها من أفراد الكائنات والجزئيات في الدنيا والآخرة ما لا يحصيه إلا الله وفي قوله؛ (بيدك الخير) ما يدل على أن جميع الخير كليّه وجزئيّه بيده سبحانه لا بيد غيره كما يفيده الجار والمجرور، فأي فرد يخرج عن هذا؟ ويبقي للمشايخ أو غيرهم وفي قوله: ﴿تولج الليل في النهار﴾ ما يدل على أنه المختص بتصريف الأعصار والدهور ليس لأحد معه شركة، وفي قوله تعالى: ﴿وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي﴾ ما يدل على أنه المختص بإخراج الأشياء وإيجادها فيخرج الضد من الضد والجنس من الجنس والمشاكل من[2] المشاكل. وقوله: ﴿وترزق من تشاء بغير حساب﴾ فيه اختصاصه بالتصرف في أرزاق عباده الباطنة والظاهرة وأن مصدر ذلك مشيئته النافذة فأي شيء يبقي بعد هذا للأنبياء والمشايخ؟ لو كانوا يعلمون؟ وقال تعالى: ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾[3] وهذه الآية الشريفة عامة لكل تدبير وتصريف في الدنيا والآخرة من جميع الخيرات وسائر الرحمات فهو الذي يمن بذلك ويفتحه لمن يشاء من عباده وما يمسك فلا وجود لمرسل له من بعده، وقوله: ﴿وهو العزيز الحكيم فيه تنبيه على مورد التدبير والتصريف ومصدرهما وأنه اختص بذلك لأنه المتفرد بالعزة والحكمة كما يعلم من تعريف الجزئيين، وإذا اختص به ولم يتصف به غيره فبأي شيء يتصرف ذلك الغير ويدبر؟ قال تعالى: ﴿يأيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنّي تؤفكون﴾[4] فأمر عباده

---

(١) سورة آل عمران، آية ٢٦.

(٢) بضم الميم.

(٣) سورة فاطر، آية ٢.

(٤) سورة فاطر، آية ٣.

جل ذكره أن يذكروا هذه النعمة العظيمة وهي اختصاصه وتفرده بخلقهم ورزقهم من السموات والأرض. والرزق والخلق يدخل تحتهما كل تدبير وتصريف من الأمور الباطنة والظاهرة ولذلك قال بعده هذا: ﴿لا إله إلا هو فأنّي تؤفكون﴾ فاستدل بربوبيته وعمومها على إلٰهيته ووجوب عبادته وطاعته ثم قال: ﴿ فأني تؤفكون﴾ إنكاراً عليهم فيما صنعوه من الإعراض عن عبادته والاعتراف بإلاهيته مع قيام برهانها الأكبر ودليلها الأعظم وهو ما ذكر في صدر الآية وهو سبحانه كثيراً ما يستدل بربوبيته وخالقيته ورازقيته على الهيته وعبادته كما قال تعالى: ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون﴾[1]، وقال جلت قدرته: ﴿والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون﴾[2] وقال تعالى: ﴿أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون﴾[3]، فلو قيل: بأن غيره يتصرف لكان هدماً لهذا الأصل وإبطالاً لهذا البرهان، وقال تعالى عن خليله إبراهيم أنه قال لقومه: ﴿ أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾[4] انظر إلى ما تضمنته هذه الآيات[5] الكريمة من تقرير بعض أفراد ربوبيته تعالى لخليله إبراهيم أفضل الرسل بعد نبينا عليهما الصلاة والسلام من خلقه وهدايته واختصاصه تعالى بإطعامه وإسقائه وما معنى إقحام[6] ضمير الفصل في هذه

---

(١) سورة النحل، آية ١٧.

(٢) سورة النحل، آية ٢٠.

(٣) سورة الأعراف، آية ١٩١ ـ ١٩٢.

(٤) سورة الشعراء، آية ٧٥ ـ ٨٢.

(٥) في الأصل (هذه الآية) والصواب ما أثبتناه يث أنها آيات عديدة وليست آية واحدة كما لا يخفى ذلك على الناظر في الآيات التي سجلها المؤلف رحمه الله تعالى.

(٦) ولو لم يستعمل المصنف هذه العبارة (اقحام ضمير الفصل) لكان أحسن لأن هذه العبارة يستعملها النحاة ويريدون بها زيادة ذلك اللفظ ولكنهم لجأوا إليها تأدباً كما يزعمون وكما

الجملة دون غيرها من الجمل وكذلك شفاؤه إذا مرض واختصاصه بإماتته وإحيائه بعد الموت وتعليق الطمع به تعالى وحده في مغفرة خطيئته يوم الدين، هذا الكلام صدر عن خليله أعلم العالمين به مستدلاً به على إلٰهيته تعالى وحده والبراءة مما عبد من دونه من الأنداد والآلهة على اختلافها وتنوعها وحكاه تعالى عنه مثنياً عليه به مقرراً له راضياً به عنه فهذا حال أنبياء الله وأوليائه عليهم الصلاة والسلام، فليت شعري ماذا يقول الملحدون في مثل هذه الآيات الكريمة؟ وسيأتيك إبطال تأويله الفاسد الذي مر في حكاية كلامه آنفاً وقال تعالى: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون﴾[1] وقال تعالى: ﴿هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون﴾[2] إلى قوله تعالى: ﴿إلهكم إله واحد﴾ فإن في هذه الآيات من تقرير الاختصاص بالتدبير والتصريف في الكليات والجزئيات مع اختلاف أنواعها والاستدلال بذلك على إلٰهيّته وحده لا شريك له ما لا يتسع لتقريره هذا الموضع واللبيب يدرك ذلك بمجرد تلاوة هذه الآيات وكذلك الحال في قوله في سورة الواقعة: ﴿أفرأيتم ما تمنون﴾ إلى قوله: ﴿نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين﴾[3] وكذلك قوله: ﴿قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون﴾[4] ففي هذه الآية أعظم دليل وأقوى حجة على إبطال قول من زعم أن لأرواح الأنبياء والمشايخ تصرفاً وتدبيراً وذلك من وجوه ظاهرة متعددة في الآية، وكذلك قوله تعالى:

= تجري على ألسنتهم أيضاً هذه الكلمة (الصلة) ويريدون أنها زائدة ونحن نعتقد أن كل حرف من حروف كتاب الله أنزله الله لهداية الخلق وليس فيه حرف زائد ولاتلا يتوهم ذلك تعديل تلك العبارة أولى في نظري والله علم بالصواب.

(١) سورة النحل، آية ٥٣.

(٢) سورة النحل، آية ١٠.

(٣) سورة الواقعة آية ٥٨ ـ ٧٣.

(٤) سورة الزمر، آية ٣٨.

﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مستخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾[1].

فقف عند هذه الآية وتدبر فيها من العلوم والمعارف فإنها أصل عظيم وبرهان ظاهر مستقيم يكفي من أراد الله هدايته، قال بعض السلف وهو ابن سميط: دلنا ربنا على نفسه بهذه الآية يشير إلى أن أفعاله شاهدة بربوبيته وإلٰهيته دالة على ذلك ولو لم يكن في هذه الآية إلا قوله: **﴿ألا له الخلق والأمر﴾** لكان كافيا في رد قول هؤلاء الملاحدة وقال تعالى لنبيه: **﴿ليس لك من الأمر شيء﴾** وقال جل شأنه: **﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾** وألا[2] للاستغراق المفيد لعدم خروج فرد من الأفراد لسواه وقال تعالى: **﴿وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وان يردك بخير فلا رادّ لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم﴾**[3] وقال تعالى لنبيه: **﴿قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً﴾**[4]، وقال تعالى: **﴿قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾**[5] وقال جلت قدرته: **﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم اني ملك أن اتبع إلا ما يوحى إلي قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون﴾**[6] فهذه الآيات تقطع أصول شجرة الشرك والإلحاد وترد مذهب أهله القائلين بأن لأرواح المشايخ تصرفاً وتدبيراً في الكون، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، وفي الحديث القدسي الذي رواه أبو

---

(١) سورة الأعراف، آية ٥٤.
(٢) والصواب والله أعلم (وال للاستغراق المفيد الخ).
(٣) سورة يونس، آية ١٠٧.
(٤) سورة الجن، آية ٢١.
(٥) سورة يونس، آية ٤٩.
(٦) سورة الأنعام، آية ٥٠.

ذر الغفاري عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: (يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم يا عبادي انكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم الحديث)[1].

وفي حديث التنزل الإلهي إذا بقي ثلث الليل أن الله تعالى يقول: (لا أسأل عن عبادي غيري) ويروى: (أن الله أوحي إلى داود أنه لا يعتصم بي عبد من عبادي دون غيري أعرف ذلك من نيّته فتكيده السموات والأرض إلا جعلت له فرجاً ومخرجاً ولا يعتصم عبد من عبادي بمخلوق دوني أعرف ذلك من نيّته إلا قطعت أسباب السماء من يده وأسخت الأرض من تحت قدميه ثم لا أبالي بأيّ واد هلك)[2] قال الشيخ رحمه الله: وقول المعترض في الجواب عن الآيتين إن المراد نفي المالكية الاستقلالية والقدرة الذاتية الكاملة عن غيره

---

(١) وقد ترك الناسخ أوحصف من صدر الحديث فقرات واستشهد بما بعدها ورمز بما جرت به عادة المحدثين بالإشارة إليه في تمام الحديث بقوله: الحديث وهذا يوهم أن أول ما استشهد به هو بداية الحديث ودفعاً لهذا الوهم المتوقع نذكر تلك الفقرات التي في بداية الحديث ثم نذكر تمام الحديث، أول الحديث: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم. . . وتمام الحديث: يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على اتقي قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً يا عبادي لو أن أولكم وأخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إلا أدخل البحر يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه) رواه مسلم من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد من رواية وهب بن منبه بلفظ آخر قال الله عز وجل في بعض كتبه: (بعزتي أنه من اعتصم بي فإن كادته السموات ومن فيهن والأرضون بمن فيهن فإني اجعل له من ذلك مخرجاً ومن لم يعتصم بي فإني أقطع يديه من أسباب السماء وأخسف من تحت قدميه الأرض فأجعله في الهواء ثم آكله إلى نفسه كفي بي لعبدي مالاً إذا كان عبدي في طاعتي أعطيه قبل أن يسألني وأستجيب قبل أن يدعوني فأنا أعلم بحاجته التي ترفق به منه.

تعالى لا مطلقاً كما يدل عليه الاستثناء إلى آخره:

فالجواب أن هذه الشبهة إنما نشأت من الجهل بمعاني كلام الله وباللغة العربية التي نزل بها القرآن العظيم فإن قوله: **﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً﴾**[1] عام لكل فرد من الأفراد وجزئي من الجزئيات لا يخرج عنه شيء وإن قل لا على سبيل الاستقلال ولا غيره وكذلك فيه نفي القدرة العامة المطلقة ولم يقل أحد من الخلق بإثبات الملك المستقل والقدرة الذاتية لغير الله تعالى إلا من عطل الصانع ولم يثبت للعالم رباً مدبراً، والآية سيقت لخطاب من يعترف بالربوبية ويثبت الصانع ولا يقول بالملك الاستقلالي ككفار العرب المقرّين بالربوبية المشركين في العبادة والالهية.

وعبارات المفسرين تدل على هذا أنه في نفي جميع أنواع الملك وان لم يكن استقلالاً والعربي يدرك ذلك بذوقه وعربيّته ولا يحتاج فيه إلى برهان وكذلك قوله تعالى: **﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو الآية﴾**[2] فإنها دلت نصاً على انتفاء وجود كاشف لما يمسه الله به من الضر وعلى انتفاء راد ومانع لما أراده الله تعالى به من خير وفضل. وهذا أعم من أن يكون بطريق القدرة الذاتية أو بغير ذلك كما هو صريح الآية. وقد تقدم لهذه الآيات نظائر تدل على اختصاصه تعالى بالأمر والتدبير والنفع والضر وإنما شاء كان وإن لم يشأ الناس وما لم يشأ لم يكن وإن شاء الناس.

وقوله: يجوز للنفوس الكاملة تصرف في العالم من جهته تعالى إن أراد أن ذلك يحصل بغير الأسباب العادية كما يدعيه هو وأمثاله لأرواح المشايخ والصالحين فهذا كذب وتجويز للشرك والباطل والضلال، وقد تقدم رده وإن أراد الأسباب العادية في الحياة الدنيوية كالذي يشترك فيه المؤمن والكافر والبر والفاجر والإنس والجن فهذا النوع لا يطلق عليه إن جعلهم متصرفين مدبرين

---

(١) سورة الأعراف، آية ١٨٨.

(٢) سورة يونس، آية ١٠٧.

وهذا جهل عظيم ومع هذا فلا يجوز أن يطلب منهم كل شيء ويقصد بما لا يقدر عليه إلا الله. وأما قوله: والأنبياء والأولياء في صدور التصرفات والكرامات عنهم في الظاهر مظاهر لتصرفاته تعالى كالمرآة المجلوة المتصلة إذا استنارت من الشمس صارت منورة للأجساد المظلمة - فهذه العبارة تمويه وترويج للباطل. وحقيقتها أن العباد يتصرفون في العالم ويدبرون أمره وتصدر الأمور عنهم لأنهم مظاهر. والقائلون بأن الخلق مظاهر لذاته هم أهل الحلول المعطلة لوجود الصانع وربوبيته ومباينته لمخلوقاته وهم من أكفر خلق الله وأضلهم سبيلاً فإنهم يعبدون كل ما استحسنوه ومالت نفوسهم إليه لظنهم أنه من مظاهر الحق.

والقائلون بأن لأرواح الأولياء في صدور التصرفات عنهم مظاهر لتصرفاته تعالى فيهم مشابهة قوية للحلولية ولعل هذه العبارة إنما أخذت عنهم يبين ذلك أنه إن أراد الأسباب العادية الحسية فهذا لا يختص بالأنبياء والأولياء وإن أراد ما هو أعم من ذلك من الأمور الباطنية والتدبير بالقوة المؤثرة فهو شبيه بالقول الأول مشتق منه ﴿**كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بيّنا الآيات لقولم يوقنون**﴾[1].

وقوله: ويجوز أن تكون حالهم بعد مفارقة أرواحهم عن الأبدان في التصرفات كحالهم قبلها بل أتم وأصفى: - فجوابه أن حالهم قبل المفارقة حال عبد لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً كما قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ **قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً**﴾[2] وقال له أيضاً: ﴿**ليس لك من الأمر شيء**﴾[3]. وقال تعالى: ﴿**إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين**﴾[4].

---

(١) سورة البقرة، آية ١١٨.

(٢) سورة الجن، آية ٢١.

(٣) سورة آل عمران، آية ١٢٨.

(٤) سورة القصص، آية ٥٦.

فإذا كانت هذه حاله ﷺ فما ظنك بغيره من سائر الخلق وإذا اتحدت الحالة بعد المفارقة وقبلها فليس فيها حجة للمعترض لأنه لا يملك ولا يتصرف لا في حياته ولا في مماته هذا إن سلم أن الحال مستوية في الحياة وبعد الممات والذي دل عليه كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة أن الحال بعد مفارقة الأرواح للأبدان ليست كحال الحياة من وجوه كثيرة لا يمكن استقصاؤها، ويكفي للمؤمن قوله ﷺ: **إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»**[1] فهذا الحديث يدخل تحته جميع أعماله الباطنة والظاهرة وأنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً وأن الأسباب العادية الحسية تزول بالموت فكيف بغيره؟ وإذا كان لا يملك لنفسه شيئاً وعمله قد انقطع فكيف يتصرف ويدبر ويستمد منه وتطلب منه الحوائج؟ إن هذا لهو الضلال المبين والجهل الواضح المستبين، وقد تقدم في الحديث أن نسمة المؤمن طائر يعلق بشجر الجنة فإذا كانت في الجنة تعلف بأشجارها فأي دليل دل على أنها تدبر وتتصرف وتتجاوز هذه الحالة التي ذكرها النبي ﷺ إلى التدبير والتصريف؟ ولقد كنا غنيّين عن رد هذا القول لظهور بطلانه وضلال قائله ولكن غلبة الجهل على الجمهور دعت إلى الجواب.

وأما ما نقله عن البيضاوي، واعتمده من أن أرواح الأولياء تتصرف فهو دليل على جهله وعدم معرفته بأخذ العلم من محله وذلك أن البيضاوي قال في قوله تعالى: **﴿والنازعات غرقا﴾** إنها صفات ملائكة الموت فإنها تنزع أرواح الكفار من أبدانهم (بشدة) وتنشط أرواح المؤمنين أي تخرجها برفق ويسبحون في الإخراج ويستبقون بالأرواح إلى مقرها وما أعدّ لها وتدبر ذلك الأمر المعد هذا هو الذي قدم وأيدّ وهو الموافق لعبارات السلف، والمحققون من المفسرين جزموا بأنها صفات الملائكة واقتصروا عليه ولم يذكروا سواه وما وقفت على قول أحد حكي هذا الذي ذكر عن البيضاوي سوى البيضاوي

---

(١) رواه مسلم من رواية أبي هريرة رضي الله عنه.

مع أنه قدم سواه وأخره بل قدم عليه القول بأن هذه صفات للنجوم وذكر وجهه فإن كان قول البيضاوي حجة فقد قدم على هذا أنها صفات للنجوم.

وعلى قول هذا المعترض واحتجاجه بعبارة البيضاوي يطلب من النجوم ويستمد منها ويقال بأنها تتصرف لأن البيضاوي ذكر أنها من المدبرات أمراً بل يرجع حينئذ إلى عبادة النجوم وما كانت عليه الصابئة في زمن إبراهيم الخليل عليه السلام وكذلك قال في تفسيره أو صفات أنفس الغزاة أو صفاة خيلهم وعلى هذا يطلب منهم ومن خيلهم ويستمد لأنها من المدبرات أمراً سبحان الله ما أجهل هذا الرجل وأقل علمه بدين الإسلام الذي اتفقت عليه دعوة الرسل بل ما أجهله بتوحيد الربوبية الذي أقرّ به المشركون من سائر الأمم الذين آمنوا بربوبية الله وأشركوا في عبادته.

وأما ما نقله عن الشافعي أنه قال: الدعاء عند قبر الكاظم[1] ترياق

---

(١) والكاظم هو الإمام السابع من الأئمة الاثني عشرة الذين تعتقد الشيعة عصمتهم من الكبائر والصغائر وهذا الإمام الذي زعم المردود عليه أن الشافعي يقول: الدعاء عند قبره الخ هو موسى الكاظم بن جعفر الصادق وأن سلسلة إمامتهم على زعم الشيعة الإمام الأول علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم ابنه الحسن بوصية له من أبيه ثم أخوه الحسين من بعده ثم ابنه علي زين العابدين ثم ابنه محمد الباقر ثم ابنه جعفر الصادق ثم ابنه موسى الكاظم ثم ابنه علي الرضا ثم ابنه محمد الجواد ثم ابنه علي الهادي ثم ابنه الحسن العسكري ثم ابنه محمد المهدي المنتظر وهو الإمام الثاني عشر، ويزعمون أنه دخل سرداباً في دار أبيه بسر من رآى ولم يعد بعد وأنه سيخرج في آخر الزمان ليملأ الدنيا عدلاً وأمناً كما ملئت ظلماً وخوفاً وهؤلاء قد جاوزوا الحد في تقديسهم للأئمة فزعموا أن الإمام له صلة روحية بالله كصلة الأنبياء وقالوا إن الإيمان بالإمام جزء من الإيمان بالله وأن من مات غير معتقد بالإمام فهو مات على الكفر وغير ذلك من اعتقاداتهم الباطلة في الأئمة وكفى به إثماً مبيناً.

وأشهر تعاليم الإمامية الاثني عشرية أمور أربعة: العصمة، والمهدية والرجعة والتقية. أما العصمة فيقصدون بها أن الأئمة معصومون من الصغائر والكبائر في كل حياتهم ولا يجوز عليهم شيء من الخطأ والنسيان. وأما المهدية فيقصدون بها أن الإمام المنتظر هو المهدي الذي يخرج في آخر الزمان وأول من قال بهذا هو كيسان مولى علي بن أبي طالب في محمد ابن الحنفية ثم تسربت إلى طوائف الإمامية فكان لكل منها مهدي منتظر.

مجرب فهذا حال أهل الجهل والضلال يعتمدون الأكاذيب ويحرّفون النقل الصحيح ومن عرف الشافعي وعرف علمه ومذهبه عرف أن هذا من أوضح الكذب وأظهره ولا يشك في ذلك إلا جاهل فإن الشافعي منع من استقبال القبر الشريف قبر رسول الله ﷺ عند الدعاء وأمر باستقبال القبلة عند ذلك، كما حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية بل حكى الإجماع عليه وهو من أعلم الناس بأقوال العلماء ومذاهبهم وحكاه غير واحد من أهل العلم كابن القيّم الجوزية. والشافعي رحمه الله من أشد الناس متابعة للسنة ونهياً عن البدع فكيف يجيز ما دلت الأحاديث على المنع منه كحديث علي بن الحسين عن أبيه عن جده أنه ﷺ قال: «لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلّوا عليّ حيث كنتم»,ك.

والعيد اسم لما يعتاد مجيئه والتردد إليه لدعاء أو سلام، ووجه الدلالة من هذا أنه ﷺ منع من تحري الدعاء واعتياده عند أشرف القبور وأفضلها منبّهاً على ما دونه بطريق الأولى وذكر العلقمي عن الشافعي أنه قال: أكره أن يعظّم مخلوق حتى يتخذ قبره مسجداً مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده وبهذا تعلم فقه الرجل ودينه، وهذه العبارة - وهي قولهم: الدعاء عند قبر فلان

وردت بعض الأحاديث في شأن المهدي رواها الترمذي وأبو داوود وابن ماجه وغيرهم كقوله عليه الصلاة والسلام: «لو لم يبق في الدنيا إلا يوم لطوّل الله ذلك حتى يبعث فيه رجلاً مني أو من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي» ومثل قوله: «لو لم يبق إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً». ولكن لم نر من المسلمين من ذهب مذهب الإمامية في تعيين المهدي ودعواهم أنه الإمام الثاني عشر الذي اختفى حياً وسيعود في آخر الزمان.

وأما الرجعة فهي عقيدة لازمة لفكرة المهدية، ومعناها: *أنه بعد ظهور المهدي المنتظر يرجع* النبي ﷺ إلى الدنيا ويرجع علي والحسن والحسين، *بل وكل الأئمة، كما يرجع خصومهم* كأبي بكر وعمر فيقتص لهؤلاء الأئمة من خصومهم ثم يموتون جميعاً ثم يحيون يوم القيامة.

وأما التقية فمعناها المداراة والمصانعة وهي مبدأ أساسي عندهم وجزء من الدين يكتمونه عن الناس فهي نظام سري يسيرون على تعاليمه فيدعون في الخفاء لإمامهم المختفي ويظهرون الطاعة لمن بيده الأمر فإذا قويت شوكتهم أعلنوها ثورة مسلحة في وجه الدولة القائمة الظالمة في زعمهم ١ هـ التفسير والمفسرون جـ٢ ص ٧ - ٩.

ترياق مجرب - قد تنازعها عبّاد القبور والمتبركون بها فمنهم من يدّعي ذلك لقبر أبي حنيفة ومنهم من يدّعيه لقبر معروف الكرخي. وعبّاد عبد القادر وأحمد البدوي والحسين عندهم ما هو أعظم من ذلك وأطم. وبعضهم يفضل الدعاء عندها على الدعاء في المساجد التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وبهذا وأمثاله عمرت المشاهد وعطلت المساجد وبنيت القباب وأرخيت الستور على التوابيت مضاهاة لبيت الله والله نسأل وإليه نرغب أن ينصر دينه ويظهره على سائر الأديان ويقيم له أنصاراً وأعواناً يدعون إليه ويجاهدون فيه.

وأما قوله - قال حجة الإسلام محمد الغزالي[1]: كل من يستمد به في

---

(١) هو الإمام أبو حامد زين الدين محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي الفقيه الشافعي فيلسوف متصوف تلميذ لإمام الحرمين أبي المعالي وتولى التدريس بمدرسة النظامية ببغداد ثم حج ورجع إلى دمشق واستوطنها عشر سنين وصنّف فيها كتباً ثم صار إلى القدس والإسكندرية ثم عاد إلى بلده بطوسى مقبلاً على التصنيف والعبادة والنظر في الأحاديث خصوصاً البخاري، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن المتأخرين غلطوا بسبب تعظيم الغزالي المنطق وذكر أن الغزالي أول من أدخل المنطق في أصول الفقه وكتب مقدمة من المنطق في أول كتابه المستصفى وزعم أنه لا يثق بعلمه إلا من عرف هذا المنطق وصنف الغزالي في المنطق معيار العلم (القسطاس المستقيم) و(محك النظر) وصنف كتاباً في مقاصد الفلاسفة في المنطقة والحكمة الإلهية والحكمة الطبيعية عرف فيه مذاهبهم وحكى مقاصدهم.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (الرد على المنطقيين) وصنف الغزالي في آخر عمره (كتاب تهافت الفلاسفة) وبيّن كفرهم بسبب مسألة قدم العالم وإنكار العلم بالجزئيات وإنكار المعاد وبين في آخر كتبه أن طريقتهم فاسدة لا توصل إلى يقين وذمها أكثر مما ذم طريقة المتكلمين لكن بعد أن أودع كتبه المظنون بها على غير أهلها وغيرها من معاني كلامهم الباطل المخالف لدين المسلمين ما غير عبارته وعبر عنه بعبارة المسلمين التي لم يريدوا بها ما أراده وقال أبو حامد يفرق بين عالم الأمر وعالم الخلق فيجعل الأجسام عالم الخلق والنفوس والعقول عالم الأمر وهذا ليس من دين المسلمين بل كل ما سوى الله مخلوق عند المسلمين والله تعالى خالق كل شيء.

والمقصود هنا أن كتب أبي حامد وإن كان فيها كثير من كلامهم الباطل إما بعبارتهم أو عبارة

الحياة يستمد به بعد الوفاة ـ فالجواب: أن هذا من جنس ما قبله نقل غير صحيح عن قائل غير معصوم لا يحتج بقوله بإجماع المسلمين، وقول الناقل قال حجة الإسلام مجرد تمويه وتخييل، وحجة الإسلام في كلام الله وكلام رسوله ﷺ وما عدا ذلك فيؤخذ منه ويترك كما قال مالك وبقوله يقول علماء الإسلام: كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر يعني رسول الله ﷺ، وأبو حامد قد دخل في الفلسفة واعتنى بكتب الفلاسفة ودخل عليه من الشر بسبب ذلك ما لا يحصيه إلا الله ومن تأمل كتبه وكلامه في الإحياء وفي غيره عرف ذلك إن كان ممن له ممارسة في العلوم الشرعية قال الفقيه ابن العربي المالكي: دخل شيخنا أبو حامد في جوف الفلسفة ثم أراد أن يخرج فلم يحسن الخروج، هذا كلام تلميذه[1] وهو من أعرف الناس به، هذا إن صح النقل وما أظن هذا ثبت عنه.

وأما قوله: قال بعض من المشايخ العظام: رأيت أربعة أشخاص من الأولياء يتصرفون في قبورهم كما تصرفوا في حياتهم أو أزيد ـ الشيخ عبد القادر وعد اثنين آخرين إلى آخره ـ.

فالجواب أن مشايخ الضلال وجهلة الصوفية الذين لا دراية لهم بدين الله وشرعه قد يصدر منهم هذا ونحوه بل قد حكي عن بعضهم القول باتحاد

أخرى فهو في آخر أمره يبالغ في ذمهم ويبين أن طريقتهم متضمنة من الجهل والكفر ما يوجب ذمها وفسادها أعظم من طريقة المتكلمين ومات الغزالي سنة ٥٠٥ خمس وخمسمائة هجرية وهو مشتغل بالبخاري ومسلم ١ هـ كتاب الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٩٤ ـ ١٩٨.

(١) هو القاضي أبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أحمد المعروف بابن العربي المعافري الأندلسي من حفّاظ الحديث رحل إلى المشرق وصحب ببغداد أبا حامد الغزالي صنّف كتباً في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ من كتبه (أحكام القرآن) وكتاب المسالك في شرح موطأ مالك وكتاب القبس على شرح موطأ مالك بن أنس ـ وعارضه الأحوذي على كتاب الترمذي وغير ذلك من الكتب النافعة وأبوه من فقهاء أشبيلة ورؤسائها وولد سنة ٤٦٨ هـ وتوفي رحمه الله سنة ٥٤٣ هـ أنظر هامش كتاب الرد على المنطقيين ص ٤٨٢ التفسير والمفسرين جـ ٢ ص ٤٤٨ ـ ٤٤٩.

الخالق والمخلوق والقول بحلول الخالق في خلقه والقول بتعطيل الصفات الثبوتية وكل هذه الأقوال حكيت واشتهرت وخلّدت في الدفاتر عن أشياخ يعتقد كثير من الناس أنهم أهل معرفة وتحقيق وأنهم من المشايخ العظام.

ومن بني دينه على هذا رجع إلى ما عليه النصارى من تقديم أقوال أحبارهم ورهبانهم على ما بأيديهم من كتب الله وعندهم من هذا النوع شيء كثير وحكايات معروفة، وقد عاب الله ذلك عليهم وكفّرهم به، قال تعالى: **﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾**[1].

وقد فسّر ﷺ هذه العبادة بطاعتهم في تحريم ما أحلّ الله وتحليل ما حرّم الله كما في حديث عدي بن حاتم وهو حديث صحيح مشهور اعتمده المفسرون وأهل الحديث، وقد رأينا بمصر من يقول: بأن البدوي وزينب والدسوقي يتصرفون وبعضهم يزيد إلى سبعة وبعضهم إلى سبعين، وكل هذه من أقوال عبّاد القبور، وقد أبطلها القرآن وسائر الكتب السماوية وما جاءت به النبّوات بل بطلانه معلوم بالضرورة من دين الإسلام.

وأما قول ابن زروق: إن إمداد الميت أقوى من امداد الحي لأنه في بساط أقرب الحق وحضوره ـ فهذا القول كما سبق قول عمن لا يرتضي ولا يؤخذ بقوله ولا يهتدي ونحن لا نمنع أن أقوال الضالين في هذا المعنى كثيرة[2] ولكن ليست بشيء. ومعنا أصل عظيم لا يضل من اتبعه ولا يشقي وهو كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ. وقرب العبد من الحق وحضوره لا يفيد هذا فإن جميع الخلق قريب بالنسبة إلى علم الحق وخواصه لهم قرب خاص

---

(١) سورة التوبة، آية ٣١.

(٢) وفي الأصل (كثير) بدون تاء التأنيث والصواب بالتأنيث لوجوب المطابقة بين المبتدأ والخبر، ووزن فعيل وإن كان مما يستوي فيه المذكر والمؤنث كقتيل وجريح إلا أن المطابقة والمشاكلة أمر مهم عند العرب أرباب الفصاحة والبلاغة والله أعلم بالصواب.
وأيضاً الذي يستوي فيه المذكر والمؤنث ما كان المؤنث مؤنثه على وزن فعلى كقتيل قتلى وجريح وجرحى.

بالنسبة إلى الحفظ والإعانة والنصر والتأييد والتسديد. والملائكة لهم قرب أخص والأرواح الطيبة كذلك، ومع هذا فقد قيل لأفضلهم وسيدهم (ليس لك من الأمر شيء) (إن عليك إلا البلاغ) وتقدم ما فيه كفاية لأهل الحق.

وأما علم الأرواح بالزائرين وأحوالهم فلا دليل فيه لأن كونه يعلم الزائر ويرد عليه سلامه لا يدل على أنه يعلم حاله مطلقاً ويتصرف ويدبر الأمر هذا لا مناسبة بينه وبين ما قبله بوجه من الوجوه وأي تلازم بينهما؟ وقد يعرف الكافر من يزوره وهو فيما هو فيه من العذاب.

وأما قوله ـ: هكذا في شرح المشكاة ـ فقد تقدم أن الحجة ليست في قول مثل هذا.

وأما قوله ـ: وليت شعري ما أراد المنكرون للاستمداد إن أرادوا أن الأولياء لا تصرف لهم أصلاً (لا) في الحياة ولا في الممات فهو بعينه مذهب أهل الاعتزال ـ: والجواب: أن يقال: قد تقدم أن الرجل لا يعرف معنى الاعتزال، ويسمي المؤمنين الذين يعتزلون الشرك وأهله ويجتنبون الأقوال المكفرة الشركية معتزلة لجهله بالاعتزال. والقول بأن الأولياء لا تصرف لهم أصلاً لا في الحياة ولا في الممات بغير الأسباب العادية الحسية هو مذهب أهل الإسلام قاطبة الذين اعتزلوا الشرك وأهله.

وقوله ـ: وإن أرادوا أن لا تصرف لهم حقيقة في الحالتين بل المتصرف والمؤثر حقيقة هو الله تعالى، وينسب إليهم مجازاً فهو بعينه اعتقادنا: والجواب: أن يقال: لا تصرف لأحد من الخلق بدون الأسباب العادية لا حقيقة ولا مجازاً. وهذا هو الذي دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كما تقدم من الآيات والأحاديث.

وأما الأسباب العادية الحسية فهي تضاف إلى العبد حقيقة بمعنى أنها صدرت منه وقامت به وحصلت بمشيئته وكسبه ولا يمنع من اطلاق هذه الأفعال حقيقة عليه وإن كان الله هو الخالق له ولعمله كما قال تعالى: ﴿والله

خلقكم وما تعملون﴾[1].

ومن قال - لا تضاف إليه هذه الأفعال إلا مجازاً فهو من جنس قول المجبرة[2] ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن كسب العبد وأفعاله الحسية تضاف إليه حقيقة، وأما أفعال الله التي ليست من جنس أسباب العباد ولا في قدرتهم فهذه لا تضاف إلى العبد أصلاً لا حقيقة ولا مجازاً. ولكن المعترض خلط هنا ولم يميز وقوله -: إن أرادوا أنه لا تصرف ولا كرامة لهم بعد الوفاة أصلاً بناء على أنه لا حياة لهم فهذا مع ما فيه من إنكار عذاب القبر باطل لما ذكرنا من السماع والعلم لهم ولا شك أنهما يتفرعان على الحياة - فالجواب: يعلم مما تقدم وهذا كله حشو وتكرير ليس تجديداً للدليل هو مجرد تكرير الدعوى ولا يخفى أن الملحدين وعبّاد القبور القائلين بالتصرف يموهون على الناس بأن تصرف الأولياء كرامة وأن من نفاه فقد نفى الكرامة، وهذا المعترض زاد في التمويه بقوله: بناء على أنه لا حياة لهم وأن هذا يلزم منه إنكار عذاب القبر، وكل هذا تشبيه وترويج للباطل وتمويه على الجهّال. وأهل الحق لا ينكرون الكرامة التي جاء بها القرآن الكريم كما في قوله تعالى: **﴿ألا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾**[3] وقوله: **﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾**[4] وقوله: **﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾**[5] وفي الحديث القدسي قال الله تعالى: (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)[6]

---

(١) سورة الصافات آية ٩٦.

(٢) والمجبرة هم الجبرية وهي الطائفة التي تعتقد أن العبد مجبور لا اختيار له وهذا الأصل الذي بنوا عليه مذهبهم فاسد من عدة وجوه، أن ما يقدم عليه من خير وشر لا اختيار له وعمله هذا كحركة المرتعش وحركة الشجرة التي يحركها الريح وهذا جرم عظيم من حيثيات العبد.

(٣) سورة يونس، آية ٦٢.

(٤) سورة فصلت، آية ٣٠.

(٥) سورة آل عمران، آية ١٦٩.

(٦) رواه البخاري ومسلم وتمام الحديث أقرأوا إن شئتم ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة

وكـذلك يثبتـون خرق العـادة للأوليـاء في بعض الأحيان كمـا في قصة آصف صاحب سليمان عليه السلام وكمـا في قصة أصحـاب الكهف وكما تقـدم في قصة عمر رضي الله عنـه، ولكن ليس في هذا دليـل على أنهم يتصرفـون ولا تلازم بين التصرف والكرامة لأن الكرامة خـرق الله العادة ليـوليه من غيـر فعل من ذاك الولي[1].

وقول هذا الجاهل: إن ذلك بناء على أنه لا حياة لهم فهذا جهل عظيم وخلط ذميم. فـالمسلمون متفقـون على إثبات عـذاب القبر ونعيمـه وان أريـد بالحياة تنعم الأرواح والأجساد وعذابهـا وإحساسهـا ونحو ذلـك كما ورد فهـذا ثـابت لا شك فيـه لكنه لا يسمي حيـاة[2] وإنمـا يـطلق اسم الحيـاة على غيـر

= أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾، سورة السجدة، آية ١٧.

(١) بل ولا علم منه ولا يعرف مما يجري الله له من خارق العادة.

(٢) وذكر شارح الطحاوية موضوع علاقة الروح بالبدن وفصّل ذلك حيث قال: فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعـادة المألـوفة في الدنيا فالروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام: أحـدها تعلقهـا به في بـطن الأم جنيناً، الثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض. الثالث: تعلقها به في حال النـوم فلهـا بـه تعلق من وجـه ومفارقـة من وجه، الـرابع: تعلقهـا به في البـرزخ فإنهـا وإن فـارقتـه وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقاً كلياً بحيث لا يبقى لها إليه التفات البتة فإنـه ورد ردها إليـه وقت سلام المسلم وورد أنه يسمـع خفق نعالهم حين يـولون عنه وهذا الـرد إعادة خـاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة. الخامس: تعلقهـا به يـوم بعث الأجسام وهـو أكمل أنـواع تعلقها بالبدن ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه إذ هو تعلق لا يقبـل البدن معـه موتـاً ولا نوماً ولا فساداً فالنوم أخو الموت فتأمل هذا يزح عنك إشكالات كثيرة.

وقـال الشارح رحمـه الله تعالى: فـالحاصـل أن الدور ثـلاث: دار الدنيـا، ودار البرزخ، ودار القـرار. وقد جعـل الله لكل دار أحكـاماً تخصهـا وركب هذا الإنسـان من بدن ونفس وجعـل أحكام الدنيا على الأبدان والأرواح تبع لها وجعـل أحكام البـرزخ على الأرواح والأبدان تبـع لها فإذا جاء يوم حشـر الأجساد وقيـام الناس من قبـورهم صار الحكم والنعيم والعـذاب على الأرواح والأجسـاد جميعاً. ومن هنـا يتضح جلياً أن الحيـاة البـرزخيـة تختلف عن الحيـاتين الأخـريين وما تعلق المـردود عليه بـه هباء منثـور ولا وجود لـه البتـة أنـظر شـرح الـطحـاويـة ص ٣٤٨.

الأموات، والحياة البرزخية الثابتة للشهداء ونحوهم مقيدة لا مطلقة.

وعلى كل فهذا الفارسي لم يفرق بين الحياة وبين الإحساس بالألم والعذاب ولذلك استشكل وأثبت حياة البرزخ للكفار والفسّاق، كما ثبت للشهداء وأمثالهم وزعم أن نفي التصرف والتدبير عن الميت نفي للحياة يلزم منه نفي الإحساس. وان أريد أن لهم حياة مساوية للحياة الدنيوية الحسّية - وإن حال البرزخ كحال الدنيا - فهذا كذب بحت ومكابرة للعقل والحس بل ولكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، قال الله تعالى: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾[1] وقال تعالى: ﴿كل من عليها فان﴾[2] وقال جلت قدرته: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضي عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[3] وقال: ﴿كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون﴾[4].

والآيات في هذا كثيرة. وفي الحديث: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»[5] وقد تقدم الحديث.

فأي فائدة لخلط هذا المعترض وتشبيهه مع وجود هذه النصوص؟ وما أظن أنه فعل هذا إلا لقصد الخديعة والتمويه على الجهّال أو هو من أصحاب الجهل المركّب الذين وصف الله أعمالهم بقوله: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب﴾[6].

(١) سورة الزمر، آية ٣٠.
(٢) سورة الرحمن، آية ٢٦.
(٣) سورة الزمر، آية ٤٢.
(٤) سورة الأنبياء، آية ٣٥.
(٥) رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وعن جميع أصحاب رسول الله ﷺ.
(٦) سورة النور، آية ٣٩ - وفي الأصل خطأ في الآية الكريمة حيث كتب الناسخ (أو كسراب) والصواب ما أثبتناه والله أعلم.

وما نقله عن القاضي في الكلام على قوله تعالى: ﴿ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم﴾ يؤيد ما قلناه ويرد على من قال: إن الروح عرض يفنى بفناء البدن.

وأما قوله: ـ وإن أرادوا وقالوا بكرامتهم وتصرفاتهم في النشأة الأولى وأما بعد مفارقة الأرواح لا تصرف لهم ولا كرامة وعليهم البيان ـ فنقول: قد تقدم البيان، والفرق بين التصرف المثبت ـ وهو ما جرت به العادة من أعمال العباد وكسبهم ـ[1] وتقدم الكلام على الكرامة وأنها ليست كما يظنه الجاهلون أنهم ينفعون ويضرون ويتصرفون وتقدم من الأدلة ما فيه كفاية لمن أراد الله هدايته، ومن يضلل الله فلا هادي له.

ومن عجائب جهله أنه يقول: ليس لهم دليل على هذا لا في الكتاب ولا في السنة وأقوال السلف انتهى.

والجاهل يخفى عليه الحق ولو كان واضحاً في نفسه.

ثم قال المعترض:

من الشبهات التي تدور على ألسنة المنكرين أن العبد لا بد له أن لا يستعين بغيره تعالى ففي الفاتحة ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ لأن معناه نخصك بالعبادة والاستعانة فكما يجب على العباد تخصيصه تعالى بالعبادة كذلك يجب عليهم تخصيصه بالاستعانة فلا يعبدوا إلا إياه ولا يستعينوا إلا به[2] تعالى، هكذا زعم هذا المعترض أن هذه شبهة وكذب في ذلك فإن هذا هو الحق الذي نطق به القرآن في مواضع وجاءت به السنة وعلم وجوبه بالضرورة من دين الإسلام وبالفطر المستقيمة، لكن هؤلاء اجتاحتهم

---

(١) ولعل هنا حذفا ـ وغيره ـ أي غير المثبت.

(٢) في الأصل إلا منه ولعل الصواب ما أثبتناه حيث أن الأفصح «تعدية» الاستعانة وما اشتق منه بالباء والله أعلم بالصواب.

الشياطين وصرفتهم عن أصل الفطرة فصاروا في شك وريب نسأل الله الثبات على دينه.

قال المعترض: ويجاب عن هذه الشبهة بوجوه ذكر منها أن الفاتحة مقروءة على ألسنة العباد تعلماً للسلوك والوصول أي ينبغي أن يحمدوا الله ويذكروه بالصفات الجليلة مع الحضور والإخلاص ونفي الخواطر والوساوس مجتهدين في دفعها حتى تندفع بالكلية ولا يبقى في ملاحظتهم إلا الله فحينئذ يستحقون أن يخاطبوا الله ويقولوا: **﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾**.

وقصد هذا أن تخصيصه بالاستعانة في حال السلوك والخطاب وعدم وجود السوي وارتفاع الوسائط، ومراده أن في غير تلك الأحوال تباح الاستعانة بغير الله وتجوز فنعوذ بالله من الجهل المعمي.

ويقال لهذا: إن الله تعالى ذم المشركين وكفّرهم مع إخلاص الدعاء والاستعانة به في حال ارتقاع الوسائط والسوي لإشراكهم في حال وجود ذلك كما قال تعالى: **﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إيّاه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا﴾**[1].

وقال: **﴿وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيباً إليه ثم إذا خوّله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار﴾**[2]، ويقال: هذه الآية دلت على أصلين عظيمين ألا يعبد إلا الله ولا يستعان إلا به، كما قال تعالى عن شعيب: **﴿عليه توكلت وإليه أنيب﴾**[3].

وقال: **﴿عليه توكلت وإليه متاب﴾**[4]، ونحو هذه الآيات التي فيها

---

(١) سورة الإسراء، آية ٦٧.

(٢) سورة الزمر، آية ٨.

(٣) سورة هود، آية ٨٨.

(٤) سورة الرعد، آية ٣٠.

الجمع بين التوكل والاعتماد والعبادة والإنابة. وإذا كان التوكل والاعتماد في العبادات وغيرها شرطاً[1] في حصول الإيمان كما في قوله تعالى: ﴿**وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين**﴾[2].

فالاستعانة به في نيل المطلوب ودفع المرهوب أصل وشرط في حصول الإيمان المطلق لما بينها وبين التوكل من التلازم فتسلم أن الفاتحة فيها التعليم للسلوك والوصول وهذا هو دين الإسلام ومعرفة سلوك الصراط والوصول إلى الله هو أصل الدين الذي يجب التزامه، ومتى جاز للعبد أن يخرج عن هذا السلوك وطلب هذا الوصول في حال من الأحوال؟ حتى يقال: إن هذا مخصوص فإن العبد كلف بطريق السلوك وطلب الوصول إلى الممات كما قال تعالى: ﴿**واعبد ربك حتى يأتيك اليقين**﴾[3].

ومتى بقي في قلب العبد ملاحظة واستعانة بالوسائط فهو على درجتين إما أن يلاحظ ما جرت به الأسباب العادية مما هو في طاقة الخلق وقدرتهم فالاعتماد على هذا والتعلق به ينقص الإيمان الكامل وتنحط به درجة العبد لكن لا يخرج به عن الإسلام إذا كان أصل اعتماده وتوكله على الله لا على غيره. وأما ملاحظة السوي والوسائط في غير الأسباب العادية كالذين يلاحظون أرواح الأنبياء والأولياء ويرجونهم ويستمدون منهم فهذا هو الشرك الأكبر الذي لا يجامع أصل الإيمان ولا يطابق قوله: ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ والبراءة من هذا ونفيه هو الصراط المستقيم الموصل إلى الله وإلى جنته ومرضاته.

وعبارة البيضاوي التي نقل هذا عنه تدل على هذا وتقرره لأنه ذكر أن الله تعالى خوطب بقوله: ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ بعد ذكر الحقيق بالحمد ووصفه بما تقدم من الصفات التي اختص بها، فلهذا خوطب بذلك أياً من

---

(١) في الأصل شرط بالرفع والصواب ما أثبتناه حيث أنه خبر كان بالنصب.

(٢) سورة يونس، آية ٨٤.

(٣) سورة الحجر، آية ٩٩.

هذا شأنه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون أدل على الاختصاص والترجي من البرهان إلى العيان والانتقال من الغيبة إلى الشهود وكان المعلوم صار عياناً والمعقول مشاهداً والغائب حاضراً إلى آخر عبارته. وأراد بهذا توجيه الالتفات إلى الخطاب من الغيبة وهو صريح في أن العبد يطلب منه هذا ويجب عليه لأن تخلف المدلول إخلال بهذا الواجب ونقض لهذا العهد.

وقول الجاهل: إن هذا تعليم لطريق السلوك والسلوك مبدأ ومنتهى ففي المبدأ ذكر الله وعبادته وطاعته وفي الانتهاء فناء عما سواه وعن فنائه فلم يبق إلا الله وجميع الأشياء الكونية يردها العارف الواصل إن أراد بهذا الكلام ونحوه. إن هذا خاص بأناس من أهل السلوك وأرباب الطرائق، وإن غيرهم من الخلق وسائر المسلمين لا يجب عليهم تخصيصه بالعبادة والاستعانة فهذا جهل يضحك منه العقلاء ولم يقل هذا أحد ممن يعرف ما يخرج من بين شفتيه إلا أن يكون مكذباً متلاعباً. وكلام المفسرين وأهل العلم يرد ما قال هذا المعترض، ويدل على ما قاله المسلمون من وجوب عبادته تعالى وحده ووجوب الاستعانة به وحده في هذه الآية وعلى زعم هذا يقال في قوله: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ إن العبادة تخصه تعالى في حال[1] دون حال لأن هذا مقام تعليم لطريق السلوك وفيه فناء عن السوي. وهذا انسلاخ من الدين وتكذيب لنص الكتاب المبين. وأما قوله: فلأن حق العابد أن لا يلاحظ وقت العبادة غير معبوده فالاستعانة بغيره تعالى فيها ممنوعة ولكن لا تدل على أن

---

(١) وذلك أن مدلول رد الشبهة على زعم المردود عليه (الفارسي) لا يحصر العبد العبادة والاستعانة على الله إلا في حال قراءة الفاتحة لأن هذا مقام السلوك والوصل والترقي الذي يطرح العابد الالتفات إلى غير الله وفي غير هذا المقام لا تكون العبادة والاستعانة خالصتين لله بل يجوز أن يشرك الإنسان مع الله من شاء من الأولياء والأوثان وغير ذلك، ولا شك أن هذا شرك ما بعده شرك ولم يسبق إلى هذا الاعتقاد أحد قبله حتى المشركين وعباد القبور، ولقد عمل الشيخ في تفنيد هذه الشبهة عملاً جليلاً حيث حارب هذه الترهات وقطع دابرها قبل أن يكون لها رواج ولله المنة في تقييض من يذود عن ساحة توحيده بسيفه وقلمه ورحم الله الشيخ وأثابه بالروح والريحان.

الاستعانة ممنوعة مطلقاً كيف والمؤمنون يتعاونون بعضهم بعضاً قال الله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾[1] فيقال: هذا كلام قريب مما قبله إلا أنه خصّ الاستعانة به تعالى في حال العبادة وعلى كلامه أن في غير العبادة يجوز أن يستعين بغيره ويستمد منه سواه تعالى.

وهذا القول فيه حل لربقة العبودية وخروج عن الأحكام الشرعية ومنع لكتاب الله أن يعمل به إلا في حال دون حال وما رأيت من عبّاد القبور من بلغ جهله إلى هذه الغاية وتصرف في كلام الله بمقتضى رأيه ومذهبه، وأين هذا عن معنى الحصر والاختصاص المستفاد من تقديم المعمول على العامل وأين هو عن العموم اللفظي الذي اعتبره أهل العلم والتأويل بل تعرفه العامة من المسلمين وتقربه.

وأما قوله: - كيف والمؤمنون يتعاونون بعضهم بعضاً - فهذا من غباوته فإن التعاون بين المؤمنين لا يدل على أنهم يتعاونون فيما هو من خصائص الربوبية بالقدرة والتأثيرات الباطنية وإنما ذلك خاص بالأسباب العادية والأفعال المشاهدة الحسية ومن لم يفرق بين هذا وما قبله فهو ممن طبع الله على قلبه.

وما ذكره من الحصن الحصين من طلب الإعانة إذا انفلتت الدابة ليس هو من جنس الاستعانة الشركيّة فيما لا يقدر عليه إلا الله بل هو من جنس الأسباب العادية لأنهم حاضرون فخطابهم من جنس خطاب الحي الحاضر وأين هذا؟ من الاستعانة من أصحاب القبور من الأولياء والمشايخ.

وقال المعترض: وقد يجاب عن هذه الشبهة بأن الاستعانة طلب المعونة وهي بالأسباب التي يسهل بها الفعل وتقرب الفاعل وبالأسباب التي

---

(٢) سورة المائدة، آية ٢.

يتوقف عليها الفعل المسمى بالاستطاعة، فمرجع الاستعانة هنا إلى طلب التوفيق والهداية ولا شك أنهما فعلان لله تعالى مختصان به انتهى كلامه.

والجواب: أن هذا الرجل لا يدري ما يقول، فإن عبارته متناقضة، فأولها فيه جعل الاستعانة بالأسباب التي يتوقف عليها الفعل والأسباب التي يسهل بها الفعل وهذا عام، وفي آخرها قال: ومرجع الاستعانة هنا إلى طلب التوفيق والهداية وهي أخصّ من الأسباب التي يتوقف عليها الفعل والتي تسهله فقد يوجد السبب ولا يوجد المسبب وليس بين السبب والمسبب تلازم أصلاً ومراده بهذا الكلام المختلف أن: التوفيق والهداية مختصان بالله وما عداهما فمستعان به غيره ويستمد ممن سواه تعالى الله عن هذا القول وأيّ دليل؟ دل على أن المقصود بالآية نوع من الاستعانة خاص دون سائر الأنواع ثم من جهله ساق بعد هذا الكلام عبارة البيضاوي فيها تقسيم المعونة إلى ضرورية وغير ضرورية وهي حجة عليه فإن البيضاوي أدخل جميع الأقسام في الآية وبيّن أن هداية الصراط المستقيم هي الإعانة المطلوبة وهذا عام في كل ما يستعان به تعالى عليه من أمر الدنيا والآخرة فإن الصراط المستقيم لا يخرج عنه إلا أفعال المغضوب عليهم والضالين فهو لفظ عام يدخل تحته من المقصود والإرادات والأعمال الباطنة والظاهرة والغايات والوسائل كل[1] ما أريد به وجهه تعالى وكان صواباً على المنهاج المحمدي وعبارة البيضاوي ترد قول هذا المعترض وتشهد لما قلناه ولكنه نظر إلى ما فيها من التقسيم فظن أن ذلك حجة له وهو عليه.

وأما قوله: ـ فإن قيل ما معنى الاستمداد والاستعانة من الأنبياء والأولياء قلنا معناه الذي نريد به التوسل بهم إلى الله في المهمات فقط بأن يقول المتوسل: اللهم أني أسألك حاجتي هذه وأتوسل بهذا العبد المقرب المكرم عندك أن تعطيني كذا وكذا بلطفك وكرمك ـ.

---

(١) وفاعل يدخل (كل ما أريد الخ).

فيقال لهذا، هذا الكلام ينافي ما قبله وما بعده لأنـك صرحت أولاً بـأنه يستمد منهم ويستعان بهم ويقصدون في الحوائج ويعلمون الغيب ويتصـرفون ويـدبرون، ولا يصلح تفسيـر هذا بـأن المراد أن يقـول المتوسـل: اللهم إني أسألك حاجتي هذه بهذا العبد ونحو هذا الكلام، فإن الأول صـريح في سؤال العباد أنفسهم وليس فيه تعرض لسؤال الله بهم والقولان متنافيان.

فـإما أن يكـون الرجـل مصـابـاً في عقله أو قصـد التمـويـه والمغـالـطة والشقشقة ترويجاً على العوام وهي مما يزري عند ذوي الأفهام. ويقال أيضاً: قولك بعد هذه العبارة: أو يقول: يـا عبدالله يـا ولي الله اشفع لي صـريح في منافاة هـذا ويطابق الأول من بعض الـوجوه ولكنـه يخالفـه من حيث أنك هنـا ذكـرت الشفاعـة وفي الأول جزمت بـالتصريف والتـدبير، والشـافـع لا يكـون متصرفاً مـدبراً وإنمـا ينال بجـاهه عنـد المتصرف المـدبر إذا تبين هـذا ـ وأن الرجل مخلط ـ فـاعلم أن مسألـة الله بجاه الخلق نـوع ومسألـةت الخلق ما لا يقـدر عليه إلا الله نـوع آخر. فمسـألة الله بجـاه عبـاده منعهـا أهـل العلم ولم يجزها أحد ممـن يعتد به ويقتدي بـه كالأئمـة الأربعة وأمثـالهم من أهل العلم والحديث إلا أن ابن عبد السلام[1] أجاز ذلـك بالنبي ﷺ خـاصة وقيّـده بثبوت

---

(١) هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القـاسم بن الحسن السلمي الدمشقي عـزالدين الملقب بسلطان العلمـاء فقيه شـافعي بلغ رتبة الاجتهـاد ولد ونشـأ في دمشق وزار بغـداد سنـة تسـع وتسعين وخمسمائة ٥٩٩ هـ فأقام شهـراً ثم عاد إلى دمشق فتـولى الخطابـة والتدريس بـزاوية الغزالي ثم الخطابة في الجامع الأموي ولمـا سلم الصالـح إسماعيـل بن العادل قلعـة (صفد) للفرنج اختياراً أثر عليه ابن عبد السلام ولم يدع له في الخطبة فغضب عليه وحبسـه ثم أطلقه فخرج إلى مصر فولاه صاحبهـا الصالـح نجم الدين أيـوب القضاء والخـطابة ومكنـه من الأمر بالمعروف ثم اعتزل ولزم بيته ولما مرض أرسل إليه الملك الظاهر يقول: إن كـان في أولادك من يصلح لـوظائفـك وظفناه فقـال: لا، وولد سنـة سبع وسبعين وخمسمـائة ٥٧٧ هـ وتـوفي بالقاهرة سنـة ستين وستمـائة هجـرية ومن كتبـه (التفسير الكبيـر) و(الإلمام في أدلـة الأحكام) و(قواعد الشريعة) و(الفوائد)و(قواعد الأحكـام في إصلاح الأنـام) و(ترغيب أهـل الإسلام في سكن الشام) و(بداية السول في تفضيل الرسول) و(الفتاوى) و(الغاية في اختصار النهايـة) فقه و(الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز) و(في مجاز القرآن) و(مسائل الطريقة) تصـوف و(الفرق بين الإسلام والإيمان) و(رسالة مقاصد الرعاية) هـ، الأعلام للزركلي ص .

صحة الحديث الذي جاء في ذلك وهو حديث الأعمى الذي جاء إلى النبي ﷺ وقال: ادع الله يا محمد أن يردّ عليّ بصري فأمره أن يتوضأ ويصلي ويدعو الله وفي دعائه أسألك بنبيك محمد، قال ابن عبد السلام: إن صح الحديث فيجوز بالنبي ﷺ خاصة والحديث في سنده من لا يحتج به عند أهل العلم كما لا يخفى على أهل الصناعة.

وجمهور الناس من أهل العلم يقولون: معنى الحديث إن صح: التوسل بدعائه ﷺ في حياته كما كان الصحابة يتوسلون بدعائه في الاستسقاء وفي غيره، وأما بعد وفاته ﷺ فليس من هديهم وطريقتهم أن يسألوا الله به، بل لما قحطوا زمن عمر استسقى وتوسل بدعاء العباس كما تقدم، وبالجملة فهذه المسألة نوع ولا يخرج بها الإنسان عن مسألة الله وإنما الكلام في سؤال العباد وقصدهم من دون الله. كما هو صريح كلام هذا المعترض.

وسؤال العباد والاستعانة بهم فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك جلي. ولو قال: يا ولي الله اشفع لي فإن نفس السؤال محرم. وطلب الشفاعة منهم يشبه قول النصارى: يا والدة الله اشفعي لنا إلى الابن والإله.

وقد أجمع المسلمون على أن هذا شرك. وإذا سألهم معتقداً تأثيرهم من دون الله فهو أكبر وأطم وهو صريح كلام هذا المعترض فيما تقدم لكنه مخاتل موسوس.

وقوله: ـ وأما ما يريد به العوام فمع اعتقاد التأثير ممنوع بل شرك وكذلك السؤال من الأنبياء والأولياء أموراً مختصة بالله تعالى، وبعض أفعالهم عند زيارة القبور فهو حرام قطعياً. وأما التوسل بالوجه الذي بيّنا فهو جائز بالأخبار والآثار ـ فيقال: أي فرق بين ما ذكرته من أن أرواح الأولياء تتصرف وتدبر وتعلم الغيب ويستعان بها وبين ما ذكرته عن العوام؟ بأن قلت: إن العوام يعتقدون أنها تفعل وتؤثر بغير إذن الله وأنها مستقلة بالربوبية فهذا لا يقوله أحد ممن يعترف بأن الله رب كل شيء. وإن قصدت أنهم يقولون إنها مفوضة وتؤثر وتتصرف وتعلم فهذا عين قولك سواء بسواء ولا فرق بينك وبينهم

وإنما ذكرك اعتقاد العوام هنا مجرد تلبيس. وكل من نظر في كلامك عرف أنه هو الذي نسبته إلى اعتقاد العوام. وقوله: ـ وكذلك السؤال عن الأنبياء والأولياء أموراً مختصة بالله تعالى ـ إن أراد به غير الأسباب العادية فهذا هو الذي فيه النزاع وهو عين كلامه أن أرواح الأولياء تتصرف ويطلب منها قضاء الحاجات ودفع المهمات وهذا مختص بالله وقد زعمه لغيره، وإن أراد به الأسباب العادية تطلب من غيره تعالى كسؤال المخلوق ما يقدر عليه من دفع العدو أو تعليم ما يعلمه من العلم وما في وسعه من الإطعام والصدقة والدعاء ونحو ذلك فهذا لا يمنع منه. والكلام إنما هو في النوع الأول الذي وقع النزاع فيه.

وأما حديث عثمان بن حنيف وحديث أبي الجوزي وحديث أنس فهذه الأحاذيث حجة عليه لا له لأنه ليس فيها استمداد من المخلوق والاستغاثة به بل فيها الاستمداد من ولي المدد ومالكه سبحانه.

واستسقاء عمر ومعاوية بالعباس ويزيد حجة لأهل الحق القائلين أنه لا يستسقي بالأموات ولا يستعان بهم لأن بالمدينة وغيرها من الأنبياء والشهداء والسابقين الأولين من هو أفضل من العباس ومن يزيد بن الأسود ولا استسقي بهم أحد زمن الصحابة ولا في القرون المفضلة فدل على أن ذلك ليس من دين أهل الإسلام وأنه من أبطل الباطل. والسنّة أولى بالاتباع وأحق، ثم إن هذا المعترض أتى في آخر كلامه بشبهة سامجة تخالف ما تقدم فقال: إذا تقرر أن أعمالنا تعرض عليهم بواسطة الملائكة أو بواسطتهم فيجوز أن يكون نداؤنا لهم والتوسل بهم يعرض عليهم فيدعوا لنا بالخير ويشفعوا فيشفعوا ـ والجواب: أن يقال: أين الداعي والشافع؟ من المدبر المتصرف؟ وقد تقدم لك وتكرر أنك تقول: بأنهم يدبرون ويتصرفون ويمدون فما بالك رجعت القهقري وجعلتهم داعين شافعين. والشفيع إنما يشفع بجاهه وكرامته عند من يفعل ولا فعل له هو بنفسه فلا أدري أيّ المذهبين تختار؟ وأي الطريقتين أرجح عندك؟.

أما **الطريقة الأولى** فطريقة من أشرك في الربوبية وزعم أن ثم مدبرين وفاعلين ومتصرفين.

والطريقة الثانية فطريقة مشركي العرب ومن ضاهاهم وشابههم من عبّاد القبور الذين يعتقدون أنهم إذا سألوهم وتعلقوا بهم[1] نالوا بجاههم وشفاعتهم. وقد حكى الله عنهم ذلك في قوله تعالى: **﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾**[2]. وقال تعالى: **﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾**[3]. وبعض الجهّال يظن أنه إذا قال: أنا أريد شفاعتهم وجاههم وأعتقد أن الله هو المؤثر أن ينجو بهذا من الشرك ويكون مسلماً وقد عرفت مما تقدم أن هذا هو الذي كانت عليه العرب في زمنه ﷺ وأنهم لم يعتقدوا التدبير والتأثير لغير الله تعالى، قال الله تعالى: **﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾**[4]. والآيات في هذا كثيرة فيها أنهم يعترفون لله بالتدبير والتصريف ولكنهم قصدوا من آلهتهم مجرد الجاه والشفاعة. وقول هذا قد علم مما ذكرنا أن قول القائل: يا شيخ عبد القادر شيئاً لله استمداد منه جائز. فيقال له: تقدم لك أنك تقول: إن الذي نريد التوسل بهم إلى الله بأن يقول المتوسل: اللهم إني أسألك بعبدك وتقدم قولك: بأنهم يدعون لنا ويشفعون. وهذه العبارة الأخيرة صريحة في طلب عبد القادر بنفسه وهذا هو الذي تريدون وهو الذي انطوت عليه

---

(١) في الأصل المخطوط (عليهم) والأفصح تعدية فعل تعلق بالباء لا بعلي وإن جاز نيابة حرف الجر بعضها عن بعض والأحسن استعمال الأفصح والله أعلم.

(٢) سورة يونس، آية ١٨.

(٣) سورة الزمر، آية ٣.

(٤) سورة يونس، آية ٣١.

الضمائر ولكنكم تارة تصرحون وتارة تكتمون وتظهرون غيره وعلى كل فأنتم في قول مختلف يؤفك عنه من أفك كما نعت الله بذلك إخوانكم الأولين.

وأما حكاية اليافعي في تكملة روض الرياحين[1] أن رجلاً استغاث بعبد القادر فاغيث ورأى عند ذلك رجلاً عليه ثياب شديدة البياض ونحو هذا الكلام فهذا ليس من أدلة أهل الإسلام ولا يثبت به بإجماعهم حكم من الأحكام ويحتمل أن هذا المستغيث رأى خيالاً أو جاناً فتوهمه عبد القادر وليس كذلك إلا هذا[2] إن صح النقل ولا يمكن تصحيح مثل هذه الحكايات، ولو لم يكن من الموانع إلا جهالة الراوي لدين الإسلام وعدم معرفته بصحيح الأحكام، والحكاية عن الشيخ عبد القادر أنه يقول: من استغاث بي في كربة ومن ناداني باسمي في شدة فرّجت عنه ومن توسل بي إلى الله في حاجة قضيت له ومن صلى ركعتين ثم يخطو إلى جهة العراق إحدى عشر خطوة ويذكر اسمي ويذكر حاجته فإنها تقضى[3].

وهذا الكلام البشع الخبيث نسبه إلى هذا الشيخ الموحد خطأ عظيم وزلل وخيم وقد ابتلى رحمه الله تعالى بمن يعتقد فيه نوعاً من الإلهية ويجعله نداً لرب العالمين كما ابتلى بهذا علي بن أبي طالب وابنه الحسين وغيرهم من سادات المؤمنين، وكل من عرف عبد القادر ووقف على كلامه الذي نقله الثقات عنه يجزم ببراءته من هذا وسلامته من هذه الشركيات والخرافات التي ينزه عنها العاقل فضلاً عن العالم الفاضل.

وعند النصارى وأشباههم من هذه الحكايات ما يملأ الدفاتر وكانت العرب في الجاهلية تعج على عبادة اللات والعزى ومناة ونحو ذلك بمثل هذه الحكايات الضالة والأقاويل الباطلة بل ربما سمع بعضهم الخطاب من نفس

---

(١) في الأصل المخطوط (وأن رجلاً) ولعل الصواب بدون الواو.

(٢) وفي الأصل المخطوط (وليس كذلك هذا بدون الاستثناء) والصواب ـ والله أعلم ـ ما أثبتناه حيث أن تركيب الكلام ومعناه ركيك إلا بالاستثناء.

(٣) في الأصل (فإنه) والصحيح والله أعلم ما سجلناه.

معبوده: قال الله تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾[1] وقال تعالى: ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون﴾[2] وقال تعالى: ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون﴾[3] وقال تعالى: ﴿فاءما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى﴾[4].

وقد خرج الطبراني بسنده أنه كان بالمدينة منافق يؤذي المسلمين فقالوا قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق فقال لهم ﷺ: «لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله عز وجل»، فمنع من اطلاق هذا اللفظ حتى في الأسباب العادية سداً للذريعة الشركية وهو سيد ولد آدم ﷺ ويروى عن أبي عبدالله القرشي أحد مشايخ الطريقة أنه قال: استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق، وعن ذي النون استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون، ولعبد القادر في كتابه (فتوح الغيب) ما هو قريب من هذا الكلام. وهذه هي حال أولياء الله وعباده الصالحين يأمرون الخلق بما يوجب صرف قلوبهم ووجوههم إلى الله وحده لا شريك له والإنابة إليه والاعتماد عليه، كما قال عن إمامهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه قال لقومه: ﴿أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العٰلمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين﴾[5]، وقال تعالى لنبيه: ﴿قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً﴾[6] فكيف يقول غير الرسول استغيثوا بي ومن استغاث

(١) سورة الجاثية، آية ١٨.
(٢) سورة الأعراف، آية ٣.
(٣) سورة الأنعام آية ١٥٥.
(٤) سورة طه، آية ١٢٣ - ١٢٤.
(٥) سورة الشعراء، آية ٧٥ - ٨١.
(٦) سورة الجن، آية ٢١،

بي فـرّجت عنه سبحـان الله ما أجهل أعـداء الله وقـال تعـالى: ﴿فـإذا فـرغت فـانصب وإلى ربك فـارغب﴾[1]، وتقديم الجـار والمجرور يفيـد الاختصاص وأن العباد لا يرغبون إلا إليه وفي الحديث: «من لم يسأل الله يغضب عليـه»[2] وفيه من حديث ابن عباس: «إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله»[3]، وقـال تعالى: ﴿وإذا سـألك عبـادي عني فإني قـريب أجيب دعوة الـداعي إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾[4].

فـلأي شيء يستغاث بغيـره؟ ألكون غيـره أعلم وارحم واحكم ولماذا؟ تعالى الله عن قول الظالمين علواً كبيراً والحمـد لله الذي هـدانا لهـذا وما كنـا لنهتدي لولا أن هـدانا الله لقـد جاءت رسل ربنا بالحق وصلى الله على أشرف المرسلين وإمام المتقين نبينا محمد وآلـه وصحبه وسلم تسليمـاً كثيراً غفـر الله لكاتبها ولمؤلفها ولوالديهما والمسلمين آمين.

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات الطيبـات وتزداد بشكـره العطايـا والبركات وتنال الرغبات والخيرات وتدفع بالإلتجاء إليه البليات والمضـرات لا ملجأ ولا منجي منه إلا إليه ولا حول ولا قـوة إلا به لا إلـه إلا هو رب الأرض والسموات وما بينهما ورب البريات.

(١) سورة الشرح، آية ٧ ـ ٨.
(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد من حديث أبي هريرة مرفوعاً.
(٣) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.
(٤) سورة البقرة، آية ١٨٦.

الخاتمـــة

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

ونسأل الله - وهو لطيف بعباده خبير بأحوالهم - أن يهب لنا من لدنه رحمة ويهيىء لنا من أمرنا رشداً ويحسن عاقبتنا في الأمور كلها ويجيرنا وإخواننا المسلمين أينما كانوا من ضيق الدنيا وعذاب الآخرة ويرزقنا حسن الخاتمة عند الممات إنه سميع قريب مجيب الدعوات.

وبعد: فإن هذه الرسالة القيمة المفيدة بضاعة ثمينة وسلعة غالية لم يسبق لها رواج بعد، ولكن الباري أراد أن تظهر هذه الجوهرة المكنونة من صدفها لتتلألأ بعد أن خفيت ردحاً من الزمن رغم أن مضمونها الذي احتوته سلاح حاد فتاك يجب أن يحمله كل جندي يغامر لإعلاء كلمة الله ورفع راية التوحيد وتقويض صرح الشرك ويدافع عن حوزة الإسلام والمسلمين لأن الغرض الوحيد من تأليفها رد العدوان السافر الذي شنه بعض أهل الشبه الذين انطمست بصائرهم على جمال هذا الدين الحنيف وبهائه ونزاهته لتشويهه وتقبيحه ومحو معالمه البرّاقة التي تتراءى في الآفاق كلها وإيقاع العوام وأمثالهم من مطموسي القلب في شبكات الشرك والوثنية والكفر والإلحاد.

ومن هنا ندرك تماماً قيمتها العلمية المرموقة وأن من حظي بها وعرف ما حوته من المعاني الروحية والعلوم الخيّرة استطاع ـ بعون الله ـ أن يستنير بها وينير الطريق لغيره من التائهين الحيارى، ويقهر عدو الإسلام والمسلمين ويغلبهم بهذا السلاح الفتاك الذي لا يغلب حامله لأنها صناعة من صنع الله الذي أتقن كل شيء، ولا شك أن مالكه يدمر كل ما من شأنه أن يعوّق السير الحثيث إلى الغاية المنشودة كي يصل السائرون إلى تلك المعالم الرفيعة دون أن يتعثروا في طريقهم إليها أدنى انزلاق ولذلك أرى لزاماً عليّ أن أوصي بإخواني في الله الدعاة الميدانيين والمفكرين المثقفين الواعين خاصة والمسلمين عامة أن يولوا عناية بالغة لهذه الجوهرة قراءة وتعلماً وتعليماً ونشراً في المعمورة حتى تكون بعون الله الغالب حرباً على أعداء الله وسلماً لأوليائه. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل وإياه أسأل أن ينفع بها كل من علمها وعمل بها ودعا إلى مضمونها إيجاباً وسلباً وجميع المسلمين ويجعل هذه الجهود المتواضعة خالصة لوجه الله الكريم ويغفر لي ولوالدي ولمؤلفها والحامل على عملها ولجميع المسلمين إنه جواد كريم وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه ومن ترسم خطاهم إلى يوم الدين.

وقد وقع الفراغ من هذا العمل آخر شهر محرم سنة تسع وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية يوم الخميس الموافق سبعة وعشرين من المحرم ١٤٠٩/١/٢٧ هـ.

كتبه

محمد العارف بن عثمان بن موسى الأورمي الهرري.

فهرس الأعلام
التي جاءت في الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المراجع والمصادر

١ ـ القرآن الكريم.
٢ ـ موطأ ابن مالك.
٣ ـ صحيح البخاري.
٤ ـ صحيح مسلم.
٥ ـ سنن الترمذي.
٦ ـ سنن أبي داود.
٧ ـ سنن النسائي.
٨ ـ مسند الإمام أحمد، .
٩ ـ رياض الصالحين للنووي.
١٠ ـ بلوغ المرام للإمام ابن حجز العسقلاني.
١١ ـ تجريد الصريح.
١٢ ـ نيل الأوطار الشوكاني.
١٣ ـ فتح الباري للإمام ابن حجر العسقلاني.
١٤ ـ تيسير العلام شرح عمدة الأحكام للشيخ عبدالله آل بسام.
١٥ ـ شرح مسلم للإمام النووي.
١٦ ـ سبل السلام للأمير الصنعاني.
١٧ ـ فقه الإسلام شرح بلوغ المرام للشيخ عبد القادر شيبة الحمد.

١٨ ـ التمهيد لابن عبد البر.

١٩ ـ الولاء والبراء في الإسلام تأليف محمد بن سعيد القحطاني.

٢٠ ـ الموالاة والمعاداة للحماس الجلعود.

٢١ ـ شرح العقيدة الطحاوية.

٢٢ ـ شرح عقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس.

٢٣ ـ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.

٢٤ ـ تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان آل الشيخ.

٢٥ ـ عقيدة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٢٦ ـ اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية.

٢٧ ـ فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.

٢٨ ـ كتاب الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٢٩ ـ كتاب الفوائد لابن القيم الجوزية.

٣٠ ـ الآيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات للعلامة نعمان بن محمود الألوسي.

٣١ ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٣٢ ـ تفسير ابن كثير.

٣٣ ـ الجامع البيان في تأويل آي القرآن للعلامة ابن جرير الطبري.

٣٤ ـ تفسير البيضاوي.

٣٥ ـ حاشية الجلالين للشيخ سليمان الجمل.

٣٦ ـ نيل الأوطار للشوكاني.

٣٧ ـ الأديان للشيخ عبد القادر شيبة الحمد.

٣٨ ـ التفسير والمفسرون للدكتور محمد بن حسين الذهبي.

٣٩ ـ سيرة ابن هشام.

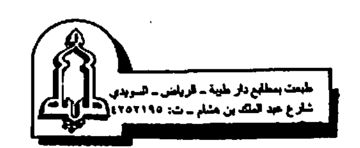
٤٠ ـ البداية والنهاية لابن كثير.

٤١ ـ مقدمة ابن خلدون.

٤٢ ـ التاريخ الكبير للطبري.
٤٣ ـ تهذيب التهذيب للعسقلاني.
٤٤ ـ تقريب التهذيب له رحمه الله.
٤٥ ـ فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني.
٤٦ ـ منهاج التأسيس والتقديس في الرد على داود بن جرجيس للمؤلف.
٤٧ ـ مصباح الظلام في الرد على من كذب الإمام للمؤلف نفسه.
٤٨ ـ ارشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني.
٤٩ ـ امتاع العقول بروضة الأصول لشيبة الحمد.
٥٠ ـ حاشية الخضر على شرح ابن عقيل في النحو.
٥١ ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ـ
٥٢ ـ رسالة في آيات الصفات له.

فهـرس المـوضـوعـات

	الموضوع	الصفحة


طبعت بمطابع دار طيبة ـ الرياض ـ السويدي
شارع عبد الملك بن هشام ـ ت: ٤٢٥٢١٩٥